

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

طيبة أحمد الابراهيم

الإنسان الباهت


١
أدبيات
نبع الآداب والثقافة المعاصرة

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

من : أدب ، وقصة ، ورواية ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا ، وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة الخ .

تحت إشراف ومراجعة

لجنة القراءات
بالمؤسسة العربية الحديثة

شعار السلسلة

نحن نخرج لك أحسن الكتب

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـــ ٤ شارع الإسحاق بمنشية البكرى بروكسى مصر الجديدة ـــ القاهرة : ت : ٨٢٦٢٨٠ ـــ ٩٠٨٤٥٥ ـــ ٢٥٨٦١٩٧ ج.م.ع .

سلسلة جديدة

أدبيات

١

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

الإنسان الباهت

تأليف

طيبة أحمد الابراهيم



مقدمة

هذه مجموعة قصصية منوعة الموضوع والهدف ، ففيها القصة الاجتماعية والقصة العلمية والسياسية والإنسانية . وهي عبارة عن إسقاطات نفسية لشرائح مختلفة من حياتي .. ورغم أنها لم توضع في ترتيب زمني كما كتبت ، وإنما رتبت كما رتبت لاعتبارات فنية أخرى . إلا أن المتتبع الممحص أثناء قراءتها لابد وأن يتبين ذلك التطور في الأسلوب والتفكير .

فالقصة القصيرة « سعيدة » ذات موقف إنساني بحت وهي أول قصة نشرت ولكنها ليست أول قصة كتبتها . حيث كتبت قبلها روايتين وقصة طويلة . هم قيد الأدراج حتى الآن ، حيث كتبتهم في مرحلة مبكرة جدًا من حياتي ، ولم أسع لنشرهم لقلة خبرتي آنذاك ، وعندما جاءت الخبرة فيما بعد تبينت أن هاتين الروايتين والقصة تحوي مكشوف كل انفعالاتي ، وكأني أتحدث إلى نفسي . فكتبتهم كما يكتب المرء صراحته المطلقة مع نفسه . ثم أهملت الكتابة لانشغالي في الأمور الحياتية الأخرى فترة غير قصيرة من الزمن . وبعدها جاء الحافز على شكل صدفة بالنسبة لي ، حيث قرأت إعلانًا لوزارة الإعلام حول مسابقة أدبية للقصة القصيرة للمبتدئين والذين لم ينشر لهم من قبل . ولوجود الحنين السابق للكتابة وتحديًا مني لنفسي وإثباتًا لقدرتي ككاتبة دخلت المسابقة بقصة « سعيدة » ففوجئت بفوز القصة بالجائزة الرابعة ، مما شجعني على دخول المسابقة في العام التالي بالقصة الاجتماعية « مذكرات خادم » وفازت هي الأخرى بالجائزة الثانية . فتشجعت

أكثر فأكثر فكتبت قصة « الإنسان الباهت » ، وهى قصة من الخيال العلمى ، ضمنتها بعضًا من تصوراتى وآرائى فى فلسفة الوجود وأيضًا البعض من تنبؤاتى فى بعض الأكتشافات العلمية حول أطفال الأنابيب وتوءمة الإنسان لنفسه وكذلك بعض أمنياتى فى استمرارية الوجود رغم خوفى من الوسائل المتبعة فيما هو مطروح من التجارب . ثم أتبعتها بقصة سياسية « حذار قد تقتل » . ولو حصلت هذه القصة على امرئ يتبنى موضوعها على أرض الواقع حقيقة لا خيالًا كما جاء فى القصة لربما تغير وجه العالم .

وأخيرًا بعد هذه المجموعة هناك قصة طويلة اسمها « ظلال الحقيقة » هى الآن تحت التأليف وموضوعها غريب أيضًا سوف تنشر قريبًا إنشاء الله .

طيبة الإبراهيم

الإنســان الباهت ..

قصة من الخيال العلمى

كنت أترقب أنباء أو المزيد من الأنباء عن السيد (موا) ، ذلك الرجل السيرالى ، الثرى جدًّا فى زمانه قبل مائتين ونيف من السنين ، والذى أوصى ، أو لعلها ليست وصية ، بل طلب وهو فى الخامسة والثمانين من عمره ، من إحدى الشركات التى تعلن دومًا عن مقدرتها على تجميد الكائن الحى ، فترة من الزمن ، ثم إعادته إلى الحياة وقتما يريد .. طلب السيد (موا) منها . وبموجب عقد بينه وبينها ، أن يوضع قبيل وفاته فى ذلك السائل النتروجينى البارد لحفظه حيًّا . ودفع فى سبيل ذلك تلك المبالغ الطائلة من ثروته .

حان أوان استخراج جثته ، أو جسده أو جثمانه . لست أدرى وأيم الحق التسمية المناسبة لذلك .

كنت أترقب متلهفًا ، الوقت الذى كان على الشركـة المعنيـة استخراجه فيه ، حسب طلبه المسبق . فى الاتفـاق المبـرم مـع الشركة .

لقد أعددت العدة للسفر ، إلى دولة سيرال . بلـد العجـائب ، لأشهد بنفسى يقظة رجل بقى نائمًا مئتى عام .. وتمثل فى فكرى قصة أهل الكهـف ، وسباتهـم الطـويل ، ويقظتهـم المعجـزة . وفكرت ؛ لابد أن أجسادهم حفظت فى مكان ملائم للحفظ ، كل هذه المدة الطويلة ، يا لقدرة الله .. وخطر لى أيضًا أن هـذا الأمـر الجديد ، لابد أن يدعم الإيمان بالنسبة لأولئك الذين يبحثون عن براهين فى العلم لتعزيز إيمانهم ناسين أن العلم كله لا يصل إليه مدى ما يعلمون . لابد أنهم يقولون الآن إن قصة أهل الكهف لا يتطرق إليها الشك .

لست وحدى الذى أزمع الرحيل إلى هناك ، فقد سمعت أن عددًا غفيرًا يعد بالآلاف من شتى أنحاء العالم ، وصل أو هو فى الطريق إلى الوصول إلى تلك الدولة . وأن ذلك الجمع الذى وصل عسكر فى المدينة مقر الشركة .. بحيث لم يبق متسع لقدم فى فنادقها . بحيث خيل إلى عند سماعى تلك الأنباء ، أننى المتأخر الوحيد عن ذلك الجمع ، رغم أن موعد إيقاظ الرجل بقى عليه ما يقارب الخمسة عشر يومًا . قلت إننى لست الرجل الوحيد الذى اهتم بتلك الأنباء . ولكننى قد أكون الوحيد الذى كان على صلة وثيقة وصداقة متينة بأحد أحفاد ذلك الرجل الحى الميت .

كانت بينى وبين حفيد السيد (موا) ـ وهو اسم الرجل المجمد ـ كانت بيني وبين حفيده ذاك ، واسمه (جعود) صلة عمل ، وصلة صداقة ، حيث كنت سمسارًا لشركته ، أو عامل تسويق كما يسمونه اليوم ، في جميع البلاد العربية ، لمنتجات تلك الشركة الصغيرة التى هى فى أول خطواتها . وكان السيد (جعود) يأمل فى توسيع أعمالها ، عند حصوله على إرثه من جده السيد (موا) فى حالة فشل التجربة ، وعدم يقظته .

نشأت صلة الصداقة تلك ، عندما تطورت معرفتى به عندما كنت طالبًا ، فى إحدى الجامعات السيرالية ، أدرس إدارة الأعمال ، فى نفس المدينة التى يسكنها السيد (جعود) وبها مقر شركته .. ارتبطت مع السيد (جعود) بخيط من المعرفة العادية فى بادئ الأمر . ولم تلبث تلك المعرفة أن تحولت إلى صلة عمل ، بعد تخرجي من الجامعة . ولم تلبث صلة العمل تلك أن تحولت إلى نوع من الألفة ، ثم الصداقة بينى وبين السيد (جعود) . وانتقلت تلك الصداقة إلى العائلة المكونة من زوجته السيدة (جعلانه) وابنته الرائعة الجمال (تودا) .

كنت أعتبر من مكملات عملى لدى السيد جعود ، أن أتحف الأم ، والابنة ببعض الهدايا الشرقية الطابع عمومًا ، وذات طابع عربى خصوصًا .. مما يفرحهما أشد الفرح ، ويجعل لهما أسبقية الظهور فى الصراعات والتقاليع ، التى يولع بها الفرد السيرالى . كنت أفعل هذا كلما ذهبت إليهما فى رحلة عمل ، فينعكس أثر ذلك بزيادة فى العمولة ، أو الترحيب العميق حينما أحل عليهم ضيفًا مرغوبًا فيه .

★ ★ ★

كان السيد (جعود) هذا أقرب الأحياء إلى السيد (موا) ، وستؤول إليه جميع الثروة العريضة الخاصة بالسيد (موا) . والتى هى الآن تدار أعمالها من قبل الشركة ، التى قامت بتجميده ، وهى مخولة بموجب العقد السابق الذكر ، بأن تصرف من أرباح هذه الثروة ، حسب ما تقدر هى ـ أى الشركة ـ على عملية التجميد ، والباقى من الأرباح الطائلة يضاف إلى رأس المال الثابت . وطبعًا فإن الشركة تستهلك جميع الأرباح الطائلة ، ولذا لا تضيف إلى رأس المال الثابت شيئًا . أما فيما لو لم يستيقظ السيد (موا) . واستمر فى سباته العميق ، فإن جميع هذه الثروة العريضة تعود إلى السيد (جعود) ، كما ذكرت سابقًا . لذا فالسيد (جعود) تنتابه مشاعر متضاربة ، ورغبات متعارضة ، ولصداقتى له لم يخف عنى أفكاره تلك . فقد ذكر أمامى عدة مرات فى معرض أحاديثنا عن السيد (موا) بأنه يرغب أشد الرغبة فى تلك الثروة ، وأنه يتمنى رغم تأنيب الضمير الذى يستشعره تجاه أمنيته تلك ألا يستيقظ السيد (موا) من رقدته أبدًا . ولكنه يعود أحيانًا إلى نزعته العلمية الاستطلاعية ، التى تكاد تكون السمة الغالبة للشعب السيرالى

فتجعله هذه السمة أحيانًا أخرى يتمنى أن يعود السيد (موا) إلى الحياة ، لكي يرى ردود الفعل التى ستصيبه ، عندما يستيقظ . وكان يقول بهذا الصدد :

« لا بأس » فإن الرجل ، وإن استيقظ ، لن يعمر طويلًا .. لن يعمر سوى بضع سنوات قلائل .. لا تنس أنه فى الخامسة والثمانين من العمر ، حتى بعد إسقاط المائتى عام من عمره .. ستئول ثروته إلىّ حتمًا .. إذن لنتمنّ أن يستيقظ حيًا .. » .

كان يقول ذلك وكأننى مثله أتمنى ألا يستيقظ الرجل .. لا يدرى أن أمنيتى تتعارض مع رغبته ، فأنا فى لهفة لعودته للحياة . ولا يهمنى لمن ستئول الثروة . وقلت له ذلك . ولكن من عادة السيد (جعود) أن يشرك معه جليسه دائمًا فى أفكاره وأمنياته ، ولذا لم يلبث حتى عاد إلى التخويف مستطردًا وهو يضحك : هذا إذا لم أمت أنا قبله .. إننى فى الثانية والأربعين .. ولكن لا يمنع الاحتمال .. عند ذلك ستئول الثروة إلى ابنتى .. ولكن قد يحدث شيىء ليس فى حسباننا نحن الاثنان .. قد يكون لئيمًا .. اعذرنى ، على الرغم من كونه أحد أجدادى .. قد يكون الرجل لئيمًا فيوصى بالثروة إلى جهة أخرى ، كالجمعيات الخيرية ، أو بيوت الأيتام .. أو ليس من المستبعد ، أن يطلب إعادة تجميده ، إلى مائتى عام أخرى ، ليستمر فى رحلته عبر الزمن ، وذلك بعد أن يشبع فضوله إلى ما صرنا إليه بعد رحيله .. فيرغب فى مواصلة رحلته الاستطلاعية .. كل شيء جائز فى فكر ذلك العجوز المغامر .. ما رأيك يا سيد (كالد) ـ كان يلفظ (خالد) بهذه الطريقة ـ ألا تتوقع ذلك ؟ » .

فكنت أتملص من الحكم القاطع ، بأى جملة تحمل معنى عائمًا ، كأن أقول له .. يجوز .. محتمل .. قد يكون .. لأننى وايم الحق لا أعلم الطريقة التى يفكر بها السيد (موا) .

كان الحديث يدور بيننا على هذا النمط منذ عام ، كلما أهللت عليهم فى رحلة عمل .. وكلما انصرمت بضعة أشهر من العام ، أرى حمية السيد (جعود) تزداد ، فى الحديث عن جده ومآثره ، وثروته ، وطريقته العبقرية فى جمعها ، وأنه يترسم خطى جده فى أعماله التجارية . حتى أن حمى ذلك الحماس انتقلت إلىّ ، فلم أعد أرى نفسى ، إلا مهتمًا أشد الاهتمام بموعد يقظة السيد المجمَّد .

ها أنا على متن الطائرة المتجهة إلى دولة سيرال تحلق بى أفكارى تحليق الطائرة ذاتها .



أسبق الحوادث فى تصورى إياها ، متأهبًا تمامًا لسماع المزيد من الحديث عن السيد (موا) من السيد (جعود) . ثم تشط بى الأفكار ، فأتصور السيد (موا) بعد يقظته .. ترى ماذا سيكون شعور الرجل بعد استعادته كامل وعيه كم ستكون فرحته ؟ لعل الفرحة تقضى عليه لكبر سنه ، فحتى لو لم تحسب له هذه المائتى عام من عمره ، كما قال السيد (جعود) يكفى أنه عاش خمسة وثمانين عامًا من قبل .. لعل شدة الانفعال عنده خبتْ كما يحدث عند الشيوخ .. ولكن لا .. لابد وأنه يتمتع بملكة عقلية قوية .. وخيال خصب ، وحب للمغامرة ، وإلا ، لما فكر فى تجميد نفسه ، مضحيًا ببعض سنى عمره ، أو حتى أيام ، وهو لا يعرف معرفة يقينية ما سيئول إليه أمره ..

إذن سيكون ذهوله شديدًا ، عندما يرى التغير الهائل الذى أصبحت عليه المدينة ، سيعجب ولا شك عندما يعلم بأن الإنسان وصل إلى القمر ، واخترع الإنسان الآلى ، والقنبلة الذرية ، ولعل

دهشته تكون أعظم عندما يرى صورته على شاشة التليفزيون ، لعله يظن ذلك شُبحًا له .

حتمًا سأكون على مقربة منه ، مع ذويه ، عندما يحدث هذا .. إننى فى هذا الوضع ، أكثر حظًا من سائر المتفرجين .. ولكن من يدرى قد يكون مثل سائر الأشياء التى تحفظ فى بيت الثلج ، مهترئا ، غير متماسك الجزئيات .. فتكون كل هذه الضجة التى قامت ولم تقعد بعد هباءً فى هباء .

فيكون المستفيد الوحيد عندئذ هو السيد (جعود) .. ولكننى أراهن أنه بعد أن يمتلك ناصية الثروة ، سيظهر الأسف الشديد لإخفاق التجربة .. إننى أعرفه .. تبًا لهم أولئك الأغنياء ، لا شىء يشبع جشعهم وتعطشهم المحموم إلى امتلاك المزيد من المال . ولكن لماذا التشاؤم ؟ فى الحقيقة أنا غير ملم بالطريقة التى يتم بها تجميد الأحياء .. حتمًا ستكون طريقة مختلفة عن تلك التى نعامل بها أشياءنا المحفوظة بالثلج .. أرجو ذلك .. لعلى بعد أن أصبح فى الخامسة والثمانين من عمرى أكون ممتلكًا لثروة تمكننى من تجميد نفسى .. من لا يريد ذلك ؟

على أية حال إنها مجرد أمنيات تنتاب كل إنسان .



شعرت بجذل المرأتين الشديد بالهدايا ، التى جلبتها معى لهما ، لقد أجزلت لهما فى هذه المرة ، وأبدعت فى انتقاء الغريب والطريف ـ بالنسبة لهما ـ مما نملك من أشياء غريبة عليهما .

لقد جلبت لهما البرقع والعباءة ، والثوب المشغول بالترتر والمطرز بخيوط الذهب ، والجلباب الفضفاض المطرز بالخيوط الملونة ، كما جلبت لهما المبخرة والبخور ، وماء الورد ، والإناء

الذى يرش به . ولا تسأل عن هدايا السيد (جعود) من ملابس أهل البادية ، وتكفينى الفرحة التى أبداها بشأن قطع السجاد الثلاث ، وخاصة اللتين تحتويان على رسم للكعبة والحجيج يحيط بها ، والثانية على جلسة فى ديوانية عربية فى خيمة من شعر الماغز ، ومن حولها الإبل ، وفى داخلها الرجال يتحلقون حول موقد للقهوة وغير ذلك كثير . أى نقلت إليهم البيت الكويتى القديم . فلم أترك شيئًا من آثار جدتى ، أو أمى إلا وأخذت مثله ، مستشيرًا أختى فيما يعزب عن بالى .

فأخذت الأم وابنتها تخطران بالثياب المطرزة ، فى الصالة الواسعة .. واشعلتا شيئًا من البخور فى المبخرة الصغيرة ورقصتا جذلتين ، فصفق الأب لهما ، وشاركته .. لقد فرحت أنا أيضًا ، إن الفرح يصيب الإنسان بالعدوى ، وكذا الحزن .

وبعد أن أشبعت رغبتيهما ، فى إظهار فرحتهما أمامى بالهدايا ، جمعتاها بحرص شديد ، خشية التلف ، وأعادتا ترتيب الثياب بعناية فائقة .

كانت غايتى هذه المرة من الإكثار من الهدايا ، التقرب من العائلة . والالتصاق إلى حد الالتحام . كل ذلك فى سبيل الاطلاع عن كثب على حالة الجد (موا) كما تدعوه العائلة .

حتمًا ساعرف الكثير من التفصيلات من الصحف ووكالات الأنباء ، ولكن السامع ، أو القارئ ليس كالرائى عن كثب . وكانت خطتى سليمة تمامًا ، فقد أصرت العائلة فيما بعد على تمسكها بحضورى معها عند الاحتفال المهيب الذى ستجريه الشركة المعنية بتجميد الإنسان ، وبمعونة مجموعة منتخبة من العلماء عند إيقاظ السيد (موا) ورغم إصرار الشركة المذكورة على ألا يحضر ذلك الاحتفال سوى العلماء ، وأقارب السيد (موا) المقربين جدًا ،

والصحفيين . إلا أننـى حضرت الحـفل نتيجـة تشبث العائلـة بإصرارها على اصطحابى .

وكان اليوم المنشود . يوم التوقع العظيم . منذ فجر ذلك اليوم ، وقلبى يجب وجيبًا شديدًا فى صدرى ، كلما تذكرت المساء وحفل اليقظة . ولست أدرى علام كل ذلك الانفعال الشديد . كأن الميت أبى ، وسيعود إلى الحياة فى ذلك اليوم . لعلها رهبة العلم ، التى سيطرت علىّ ، بل لعل الأمل بقهر الموت هو ما أفكر فيه . أو هو الفضول وحده ، نتيجة أحاديث السيد (جعود) المطولة عن جده . لست أدرى بالضبط ، ولكن الذى أدريه أننى والسيد (جعود) كنا على نفس الحال من الانفعال والانبهار ، وكان هو يزيد عنى فيما يخيل لى شعورًا بالقلق .

وكنت فى حنق شديد منه ، بحيث لم أستطع إخفاءه عنه ، لأننى كنت أتخيل انفعاله القلق لشدة رغبته فى إخفاق التجربة ، فى سبيل امتلاك المزيد من الثروة ، رغم أنه أكد لى أكثر من مرة فى ذلك اليوم أن الثروة لم تعد تهمه وأنه صادق فى رغبته فى نجاح التجربة .

أما المرأتان ، فأمرهما أعجب منا .

فالسيدة (جعلانة) لم تهتم مطلقًا بما يجرى ، بل أصبح حديثنا عنه ، واهتمامنا البالغ بالحدث المزمع القيام به ـ حدث يقظة السيد (موا) ـ يثير أعصابها على حد تعبيرها ، ولولا اهتمام الشركة بالعائلة ، وإثارتها ضجة بتضخيم الأمر ، بما دعته حفل اليقظة ـ للدعاية لها طبعًا ـ لما أثار ذلك الأمر أدنى اعتبار لديها ، باستثناء توقعها حصول زوجها على الثروة . لذا فهى متعاطفة مع إخفاق التجربة .

أما الصغيرة (تودا) ذات السبعة عشر ربيعًا فلم يساورها أدنى ريب فى نجاح التجربة لذا فهى تتحدث عن الجد (موا) بإعزاز

وكأنه جدها لأبيها المباشر . فتقول : إنها ستبهره بأشياء كثيرة ، تعلمها له ، وسوف تشرح له كل ما غمض عليه من حضارة عصرنا . ستأخذه إلى السينما وتتنزه معه فى الحقول ، وسوف تسمع منه قصص التاريخ البعيد ، ويستخفها الفرح عندما تفكر فى المعلومات الحية ـ على حد تعبيرها ـ التى سوف يقصها عليها عن التاريخ قبل مائتى عام .

وتستطرد بعقلية عائلتها التجارية ، فتقول : سأقوم بكتابة وتسجيل كل ما ينطق به جدى ، وسأفتح شركة . وتعود فتستدرك . بل مؤسسة، وأطلق عليها حكايات جدى عن التاريخ .. أو أطلق عليها التاريخ الحى .. لن أدع يومًا ، أو ساعة ، بل دقيقة تمر دون أن أسجل له ، على أشرطة فيديو أو كتابة .. لابد أن كل ما فى جعبته على جانب من الأهمية . فهو يمثل الماضى والحاضر .. إنه الماضى الحى .. ماض يسير أمامنا ، وإلى جانبنا .. ماض وحاضر متزامنان .

فلم أتمالك نفسى من الابتسام . وقلت لها مناقشًا .

من أين أتيت بهذه العبارة .. فهل يمكن أن يزامن الحاضر الماضى ؟

فقالت بحدة ، مستغربة عدم فهمى :

هذا هو الواقع .. ألا تشعر بذلك ؟.. ما معنى انبعاث جدى من الماضى .. كيف ..؟ ماذا تسميه ؟

« أسميه رجلًا طويل العمر .. ولكن لا أقول إن الماضى والحاضر متزامنان ، إلا إذا عاد الماضى بأيامه ليتداخل مع الحاضر بأيامه .. أى لو أنك عشت يومك وأمسك فى آن واحد .. » .

ـ لا تفلسف الأمر هكذا ياخالد .. لا يمكن أن يحدث هذا .. سمه ما شئت لست أهتم يكفينى أن جدى العزيز سينهض مساء اليوم من رقدته الطويلة .. إننى أشعر بأنه نام ليلة البارحة وسيستيقظ اليوم .

كان المكتب المنزلى الواسع للسيد (جعود) يقع فى الممر المؤدى لجناح النوم ، من الطابق الثانى من المنزل الكبير ، ذى الحديقة الواسعة . وكان المكتب يحتوى على واجهة كاملة من الرفوف المحملة بالكتب ، أغلبها تتحدث عن الاقتصاد .. ورأس المال ، وكيفية إدارته .

وكانت تلك المحاورة السابقة تجرى فى هذا المكان من المنزل ، وفى الساعة العاشرة صباحًا . نهض كل من فى المنزل . فى الساعة السابعة على غير العادة . وبرغم أن بدء الحفل سيكون الساعة الخامسة مساء ، وبرغم أنه ليس هناك عمل محدد تؤديه العائلة ، إلا أن الكل نهض مبكرًا .

وأخذ كل منا ـ هم وأنا معهم ـ يدخل ويخرج من كل مكان ، وإلى أى مكان فى المنزل الواسع على غير هدى .. ودون هدف محدد . حتى استقر الأمر بنا أخيرًا ، إلى التجمع فى تلك المكتبة . نخوض فى أى حديث لقطع الوقت . ووجدت نفسى بعد تلك المحاورة ، أقول فجأة ، واعتقدت فى حينه ، أن قولى ذاك أغضب (تودا) دون وعى منها . وجعلها تكتئب طيلة النهار . مما أشعرنى بالندم على تسرعى . فقد تساءلت ، وأنا التفت ناحية السيد (جعود) .

كم فاصلًا من الأجيال ، بينك وبين السيد (موا) ؟..

أجابنى ببرود ، وكأنه كان يخشى أن أنفى صلة قرابته لذلك السيد .

« أظن ، ثلاثة أجيال » .

ثم تحمس فجأة فأردف :

« السيد (ريدا) ابن السيد (موا) ، وكان عمره عند تجميد أبيه أربعين عامًا ، وكان رجلًا متدينًا تقيًا ، يكاد ينقطع للعبادة .. وقد استنكر فعلة أبيه لتجميد نفسه : معتبرًا عمله مروقًا من أحكام الدين ، واعتراضًا على مشيئة الله . ولكن والده لم يصدق اعتراضه . بل ظنه طامعًا في ذلك الجزء من الثروة ، الذى أوقفه السيد (موا) على أعمال التجميد . فقلت :

لابد وأنه ضيق الأفق ، هذا السيد (ريدا) ..

فتساءل دهشًا ، كيف .. كيف تقول هذا وأنت ..

فأجبته ، قبل أن يتم جملته :

« ليس في الأمر مروق .. إنه لم يأت .. ولن يأتيَ عملًا أو فعلًا إلا بمشيئة الله . إذن لقد جمَّد نفسه بمشيئة الله .. ولو أن الله لم يشأ لم يستطع أن يفعل ذلك البتة .. فقد شاء الله أن يطيل عمره إلى ذلك الحد ، الذى لا نعرف مداه حتى الآن » .

قال ضاحكًا :

« آه .. أنتم المسلمون .. كل عمل أو حدث مستجد خارق تخضعونه لخدمة عقيدتكم . حتى لو اضطررتم إلى فلسفته .. » .

فقلت : لأن مقومات تطور عقيدتنا أحد عوامل ذاتها .. فهى تشمل الماضى والحاضر والمستقبل .

فانبرت (تودا) تقول بحنق ملتفتة إلينا :

نعم .. نعم ..

ثم عادت إلى تصفح الكتاب الذى بيدها ، مقطبة .

ولم نفهم ، لا أنا ، ولا والدها ، ما ترمى إليه بقولها ذاك .. هل هو تأكيد لرأى أبيها ؟..

فعدت إلى متابعة ما انقطع من الحديث :

ومتى توفى السيد (ريدا) ؟..

« بعد الحدث بثلاثين عامًا - وكان يقصد بالحدث عملية تجميد السيد (موا) -.. أما أبناء السيد (ريدا) فآخرهم توفى بعد الحدث بتسعين عامًا ، واسمه (تروا) . وأنا من سلالته .. وأما أبناء إخوته . أى أخوة السيد (تروا) فلا أحد يعرف عنهم شيئًا .. وقد حاول أحد الأشخاص ، فى العام الماضى ، أن يدعى أنه من سلالة أخ (تروا) ، المدعو (روشن ريدا) ولكنه لم يستطع إثبات نسبه . ومن الواضح أنه محتال ، جاء بعد أن سمع بالثروة التى سيخلفها السيد (موا) لى ، فى حالة عدم يقظته . فجاء ليشاركنى الإرث .. لذا فإن أبناء إخوة الجد (تروا) لا أحد يعرف عنهم شيئًا » .

واستمر فى استطراده فى همة زائدة :

« أنجب (تروا) ثلاثة من الأبناء وثلاث بنات ، مُتْنَ ، قبل أزواجهن ، ما عدا جدى السيد (روا) ، لقد توفى بعد الحدث بمائة وأربعين عامًا . تاركًا أبى (الفروا) ، وعمتىّ (سوجة) و(جينة) اللتين توفيتا قبل زواجهما أيضا » .

وسكت سكتة قصيرة قبل أن يستأنف :

« وقد توفى أبى ، بعد الحدث بمائة وتسعين عامًا .. أى منذ عشرة أعوام ، تاركًا إياى ، وابنتى (تودا) » .

وفى النهاية ضحك فخورًا بنسبه .

وأثناء ذلك ، كانت السيدة (جعلانة) تنظر عابسة إلى شفتى زوجها ، وكان يبدو عليها أنها سمعت هذه القصة مرارًا وتكرارًا .

لذا فقد قالت متبرمة ومنتقمة لضيقها :

« لولا هذا الحدث كما تدعوه ، لما حفظت أسماء كل هؤلاء الأجداد .. » .

فالتفت زوجها إليها ، دهشًا ، لعدم تعوُّده على كشف أوراقه أمام الغرباء - كان يسمى مشاكله البيتية بالأوراق - وكان ينتقد من يكشف أوراقه أمام الناس . لذا فقد اكتفى بالتحديق فيها طويلًا ، تحاشيًا للرد عليها أمامى .

ولكنه انتقم بعد لحظة ، فى معرض حديثه عن بعض معارفه . وكان يظن أننى لن أفطن إلى ما يرمى إليه فقد قال :

« إنه لمما يثير الاشمئزاز غيرة أولئك الناس .. » .

وبعد أن أدى دوره فى الانتقام . عاد إلى متابعة الحديث عن الحدث المتوقع مساء هذا اليوم فى الساعة الخامسة ، حيث موعد الاحتفال المهيب .

★ ★ ★

كل الطرق العلمية التى جرت مساء ذلك اليوم ، ليس من اختصاصى البحث فيها ، أو التحدث عنها ، لأننى غير ملم بها ، ولا أفقه منها شيئًا . وسأكتفى بوصف الحفل ، كما يبدو لشخص عادى مثلى ، بعيدًا عن المنهاج العلمى وطرائقه العويصة .

كنت حريصًا أشد الحرص على أن أكون قريبًا جدًا من العلماء أثناء عملية الإيقاظ . ولكن أولئك القائمين على شئون الحفل - كما يسمونه تجاوزًا - وهو فى الحقيقة بعيد عن تسميته ، كما بدا لى آنذاك .. كانوا متدبرين أمرنا مسبقًا . فقد وضعت لنا مقاعد ، أمام

واجهة زجاجية ، تطل على غرفة لها واجهة زجاجية واحدة . هى التى صفت أمامها مقاعدنا ، نحن المشاهدين .

كانت الغرفة التى يجرى داخلها الاحتفال ، تحتوى على آلات وأجهزة مختلفة الأشكال والأحجام ، متداخلة وغير متداخلة . فكانت هناك أجهزة تليفزيونية خاصة ، وأحواض مغلفة بالزجاج ، تبدو السوائل من خلاله ، بعضها ناصع البياض ، مثل سطح مرآة ، ولولا حركة تموجه الروتينية لحسبته مرآة ، وسوائل أخرى ذات ألوان متعددة ، وبعضها غير ذى لون .

وهناك آلات تتدلى من السقف ، الذى بدا لناظرى مطرزًا بالأسلاك الضخمة والدقيقة ، تنزل منه تلك الالات بالضغط على أزرار عدة . وهذه الآلات على شكل مربعات ، أو دوائر ، تضىء برموز وخطوط ، وآلات أخرى تتصل بالجهاز الراقد به السيد (موا) ، بمقابض تشبه الجلد السميك ، فى أطرافها ما يشبه الدوائر الكهربائية . وأشياء أخرى عجزت عن الإلمام بها ، أو حتى ملاحظتها .

وكانت الجدران ، بما فيها جدار الزجاج الذى نجلس خلفه ، كلها من الأسطح العازلة للصوت والحرارة كما قيل لى .

وكان يصول ويجول داخل الغرفة لفيف من العلماء والفنيين ، حول صندوق يشبه التابوت ، له أغلفة عديدة ، متحركة ، يغطس أحدها داخل الآخر .

ظننت فى مبدإ الأمر أن تلك الأغلفة تحوى ذلك السائل البارد ، ولكن تبن لى فيما بعد ، أن السائل المبرد غير موجود ، ولعله أفرغ من قبل ، لعل هذه الأغلفة عازلة للحرارة .

تشبثت بأحد العلماء الخارجين من الغرفة الزجاجية ، وبعد إلحاح منى ، عن مصير السائل البارد ، قال لى أن عملية الإيقاظ جرت منذ سبعة أيام ، تدريجيًا ، وأن هذا اليوم هو بداية المرحلة الأخيرة ، التى سوف ينهض فيها الرجل . نسيت نفسى بعد ذلك ، فلم أعد أشعر حتى فيما إذا كنت منفعلًا ، أم لا . كل ذلك فى غمرة تركيزى على ما يجرى حولى .

قام لفيف من العلماء والفنيين ، المقنعى الوجوه ، ولابسى القفازات الطويلة ، والأحذية المطاطية . يدخلون ويخرجون من غرف وممرات ، غير ظاهرة المحتوى ، إلى تلك الغرفة التى نشرف عليها ، يخرجون بأدوات ، أو يعيدونها إليها ، فى حركة دائبة منظمة .

قام الفنيون بفك مفصلات تلك التوابيت ، ونزعها من بعضها البعض ، كل نصف ساعة تقريبًا ، وقام العلماء بتحريك مقاييس حرارة عدة داخل الغرفة ذات الواجهة الزجاجية ، لضبط وتثبيت درجة الحرارة كل نصف ساعة أيضًا . واستبدلت آلات عدة بغيرها ، وهكذا دواليك . ثم انكشف التابوت الأخير . كان شفافًا من الزجاج . فبان داخله رجل ، طويل القامة ، متين البنيان ، شديد البياض ـ ليس كما نعهده من بياض الآدميين ـ إنما يخاله الرائى قطعة من الشمع ، أو الورق المقوى المصقول . لكأن خلايا بشرته قد خلت تمامًا من أى أثر من مادة الميلانين الملونة . له نفس الشعر الذى يكسو رأسه فى صورته المعلقة فى صالة السيد (جعود) ، من حيث الكثافة ، ويفرق عنه فى اللون فقط ، حيث كان حالك السواد شديد اللمعان ، وفى وسط رأسه صلعة مستديرة ـ وكان لهذه الصلعة شأن فيما بعد فى الاستدلال على طبيعة خلق السيد (موا) ـ ولكن لنترك ذلك لحينه .

كان السيد (موا) يرف بقدميه ويديه ، بين آونة وأخرى ، ويحرك رأسه حركة طفيفة لا تكاد ترى ، دون أن يفتح عينيه .

بدا على أوجه العلماء الكثير من الدهشة . لاشك أنهم لم يتوقعوا ما شاهدوه على حضينتهم . أخرج أحدهم صورة للسيد (موا) من أحد الأدراج ، وعرضها على زملائه ، وقربها إلى وجه الرجل المسجى ، كأنه يقارن .

تطاولت بعنقى . لم أشاهد الصورة ، عدت أنظر إلى وجوه العلماء .

شاهدت الاستغراب يكاد ينطق بوجوههم . دلنى هذا على أن هناك شيئًا ما حدث للسيد (موا) ولكن أحد العلماء فيما يبدو أمر بإرجاء النقاش إلى ما بعد . وطلب مواصلة الإجراءات .

فكت مفصلات الغطاء الزجاجى ورفع . فبان السيد (موا) ، أكثر وضوحًا . فبدت الدهشة على جميع الحضور ، ونشطت كاميرات الصحفيين ، وومضت الأضواء ، فى شتى الاتجاهات .

التفتت السيدة (جعلانه) إلى زوجها متسائلة فى همس .

« أهذا .. هو ..؟ »

أجاب زوجها ، غير فاطن إلى ما فى قوله من غرابة .. :

« لم أره من قبل .. قد يكون هو .. » .

ولو كنت فى وضع يسمح ، لقهقهت ضحكًا ، وأنا أسمع ذلك التهامس . ولكنى عذرتهما لذهولهما . لم يكن أحد يتصوره ، أو يتوقع أنه على هذه الشاكلة . حتى العلماء أنفسهم .

لقد كان الجسد المسجى فتيًا جدًا . يبدو فى العشرين ، أو أكثر نضارة ورواء ، ليس هناك من أثر للغضون التى على جبينه ، أو التهدلات التى أسفل خديه ، أو الشعر الأبيض الذى يكلل هامته .

تذكرت صورته المكبرة ، والمعلقة فى صالة المنزل . ليس هو ، إن السيدة (جعلانه) محقة فى تساؤلها .

استمرت مرحلة يقظة السيد (موا) أو المرحلة التى أطلق عليها الحفل ، مجازًا ، مدة ست ساعات لم يتبرم خلالها أحد منا ، أو يرغب فى مغادرة مكانه ، كلنا كنّا مشدودى الأنفاس ، للحظة نهوضه ، وسماع صوته .

أخذ العلماء فى تحريك أعضاء السيد (موا) ، أحيانًا إحدى يديه ، أو إحدى قدميه ، حركة خفيفة ، تشبه المس الرقيق .. فى كل مرة يجفل النائم ، وترف يده ، أو قدمه . لا ريب أنه يشعر أن ذلك المس الرقيق صدمة عنيفة ، بعد ذلك السكون المطبق ، لمائتى عام .

رفع العالم يده ، وأتى بما يشبه المروحة ، وحركها حركة طفيفة أمام وجهه ، فرفت شفتا الرجل وأهدابه .

فضحك العلماء سرورًا .

كانوا يسيرون ، داخل الغرفة المانعة للأصوات على رءوس أصابعهم ، مستخدمين أرق الوسائل ، لإيقاظ الرجل .. مثيرين أصواتًا لذبذبات طفيفة ، تشبه الهمس ، تتغير أنواعها دون اطراد .

بعد مضى الساعات الست ، تغير طاقم العلماء وطلب إلينا

المغادرة إلى منازلنا ، على أن نعود مساء اليوم التالى ، إذا شئنا مواصلة الاحتفال .

وتغير طاقم الصحفيين أيضًا . أنا الوحيد الذى أصر على مواصلة البقاء . فانصرفت العائلة ، وكل من كان فى القاعة . وجميعهم يشعرون بالإرهاق الشديد ، والدهشة الأشد .

وبقيت أنا مكانى ، أرقب بيقظة ما يحدث ، فى بدء الفترة الثانية من الحفل ، ثم أخذ يعصف بى التهويم ، فيطوح برأسى فى كل الاتجاهات . أظن أننى جلست هناك ثلاث ساعات أخرى ، حيث كانت الساعة الثانية صباحًا تقريبًا . ثم وصل بى الإنهاك مداه الأقصى . خاصة وأنا لم أعتد السهر من قبل ، حيث كنت أنام كالدجاج مبكرًا ، وأنهض مبكرًا .

انسحبت إلى غرفة ، وهناك انطرحت على كرسى مستطيل غير مؤثث ، مما يعد للانتظار ، ورحت فى سبات عميق ، وكأنى فى فراش وثير . وبعد أن استيقظت ، علمت من مؤشر ساعتى ، أنه مضى على نومى ما يقارب الساعات الأربع كاملة ، ياللوقت الثمين ، الذى فات ، أسرعت على عجل ، إلى غرفة الاحتفال ، بعد عودتى من أحد الحمامات مباشرة . ولكن مكانى القريب من الجدار الزجاجى ، كان قد احتل من قِبَل أحد الصحفيين . وطبعًا أن العائلة لم تحضر بعد . فوقفت بعيدًا ، ولم أشأ أن أجلس كى لا تفوتنى الرؤية الواضحة .

تشير الساعة الآن إلى الثامنة صباحًا لليوم التالى للاحتفال . وكان الطاقم الثالث يتسلم العمل ، بينما الطاقم الثانى يستعد للمغادرة . وددت أن أغادر مع الطاقم الثانى . ولكنى خشيت إن أنا

غادرت قاعة الاحتفال ، ألا يسمح لي بالعودة إلى المبنى ، خاصة وأن العائلة ليست معي ، فبقيت مكاني أتضور جوعًا .

كان أحد العلماء الجدد ، يسند السيد (موا) ، محاولًا إجلاسه عبثًا ، فأعيد إلى الاستلقاء وجيء بزجاجة تحتوى على حليب مخفف جدًا ، أخذ الراقد يمتصه بشغف .

فسألت جارى هل هذه أول وجبة ؟

قال لا .. لقد أعطى ليلة البارحة وجبة أصغر منها .

فقلت : لماذا .. لا يستطيع الجلوس ؟..

ابتسم الرجل لبلاهتى .. هل يستطيع الجلوس بعد مائتى عام من الرقاد ؟

ثم أردف :

ألم تقرأ الصحف لهذا اليوم .. وترى تصاريح العلماء ..

فقلت بلهفة .. كلا .. ماذا قالوا ؟..

أجاب ـ كنّا نتبادل الحديث همسًا ـ .. قيل إنه عبارة عن طفل كبير ..

فقلت دهشًا .. طفل فى الخامسة والثمانين ..؟

« لقد فسروا ذلك تفسيرًا مدهشًا .. قالوا إنه ، وأثناء سباته ، قامت الخلايا ، بتجديد نفسها ، تجديدًا كاملًا . لذا فهو يعتبر الآن طفلًا رضيعًا لا يدرك مما حوله شيئًا . ويخشون ألا يستعيد ذاكرته السابقة .. قد يكون الأمر مجرد احتمال ولكن الذى هم متأكدون منه

الآن ، أنه طفل ، يجب أن تعاد تربيته . لقد سمحوا لنا ليلة البارحة بسماع صوته ، وهو يطلب المزيد من الطعام .. إنه يعبر بصوت أجش ، مبهم العبارات ، ولكنه صوت رجل جائع .. قد يكون الرجل مجنونًا .. ولكنهم لا يريدون الاعتراف بذلك الآن على الأقل ، كى لا يصدم الناس ، وتخيب آمالهم ، قد يعلنون ذلك فيما بعد ، أى بعد أن يتأكدوا .. لابد وأن شركته ستكون خسارتها فادحة ، لو كان مجنونًا » .

فقلت : أرجو ألا يكون .. حتمًا ستصدم (تودا) لو كان مجنونًا حقًا ..

فقال الرجل بسرعة ، وقد بدا على وجهه الاهتمام . لقد كان صحفيًا ، ولكنى كنت ناسيًا .

« هل تعرف حفيدته ، معرفة شخصية ؟ .. »

ولما أجبته بالإيجاب ، عاد إلى السؤال :

ولماذا تظن أنها ستصدم لجنونه ؟ ..

فندمت على تسرعى ، ولكنى لم أشرح له كل آمال (تودا) برفقة جدها ، واكتفيت بقولى ، إنها تحبه .

ولكن جوابى المقتضب ذلك ، لم يمنع الصحفى النشط ، فيما يبدو ، من كتابة عنوان بالبنط العريض لمقال حول صدمة (تودا) فيما لو جُنَّ جدّها ، ونسب كل ذلك القول ، الذى لا أدرى من أين أتى به ، إلى أحد المقربين منها . وحمدت الله أننى رفضت إعطاءه اسمى ، وإلا لسبب لى إشكالًا مع العائلة .

ابتعدت عن الرجل بعد أن كثر إلحاحه ، متظاهرًا برغبتى فى الجلوس على أى مقعد شاغر . وواصلت النظر إلى السيد (موا) .

لم أصدق أن (تودا) فكرت فيّ . لقد جلبت لي معها (سندويتشًا) كبيرًا من الجبن ، وحبة تفاح ، وعلبة من عصير البرتقال . دفعت إليّ الطعام خلسة ، وهي تقول هامسة . « حتمًا ، لم تذق طعامًا من يوم أمس .. وأنت لا تستطيع الخروج ، خشية ألا يسمحوا لك بالدخول مرة أخرى .. خاصة وأنت لا تحمل هوية صحافي ، ولسنا معك .. نعم إنني أعرف مدى فضولك العلمي .. حاولت أن أحضر مبكرة . ولكن أمي ، لم تجهز قبل الآن ، فاضطررنا إلى انتظارها ، أنا وأبي .. هه ماذا حدث .. أقرأت الصحف .. كم المنى قول العلماء ، إنه قد لا يستعيد ذاكرته .. ما معنى قولهم ، طفل في الخامسة والثمانين ؟.. » .

فقلت ، أطمئنها ، دون أن أنكر الاحتمال الذي ذكره الصحافي ، عن جنون جدها . ليس شيء أكيدًا حتى الآن .. كل قول الآن ، مجرد احتمال .. ولكن المؤكد أنه استعاد شبابه .. وهذا شيء يفرح .. شكرًا على هذا الطعام .. وشكرًا أكثر على أنك تذكرتني .. إنني أتضور جوعًا ، وأكاد أسقط إعياءً .. لم أشرب سوى الماء القراح .. شكرًا مرة أخرى ..

فابتسمت ، لتظهر الغمازتان اللتان على جانبي خديها ، لتزيدها جاذبية على جمالها ولم ترد .

وانسحبتُ ، إلي غرفة مجاورة ، كي لا أزعج الحضور بصوت قضمي الشره . وأنا أفكر في قولها فضولك العلمي لِمَ لم تفسره بأي شيء آخر ؟



استمر حضورنا إلي قاعة الاحتفال لمدة أسبوع آخر . نرقب ونشاهد كل ما يجري للسيد (موا) لقد تأيد رأي العلماء وأطباء البدن ، والأطباء النفسيين ، بمزيد من التجارب . أن السيد (موا) عبارة عن طفل كبير ، حديث الولادة. خلايا الدماغ عنده عبارة عن

صفحة بيضاء ، لم تسوّدها أية معلومات ، أو خبرات سابقة . وأن جميع أجهزته البدنية ، وعضلاته ، كلها فى جدة ، ونقاء ، ورقة جهاز طفل ، حديث الولادة . وأنه يحتاج إلى إعادة تربيته وتدريبه وتلقينه المعلومات المختلفة ، شأنه فى ذلك شأن الأطفال ، لا يختلف عنهم إلا بكبر حجمه .

وفسر الأمر من قبل الهيئة العلمية المشرفة على يقظته ، بأنه نتيجة للراحة الطويلة ، التى مرت بها الخلايا ، مع استمرارها فى عملية البناء ، دون بذل مجهود لاستهلاك الطاقة ، نتج عن ذلك تجديد كامل شامل لعموم الجسم .

وأنه يمكن إجراء فحص له ، دوريًا كل عام ، لتقرير تقدمه الذهنى ، إذا شاء أهل المريض ذلك ، أو الشركة المعنية بتجميده .

وفى سبيل ذلك ، نشرت مجلتهم العلمية تفسيرات ، هى عبارة عن معادلات رياضية ، وكيميائية ، وتصورات أخرى لمعادلات قامت بها الجينات ، حتى استعادت الخلية قوة بنائها .

ولكن كل ما قاموا به من توضيح ، لما جرى شق علىّ فهمه . وأعتقد أنه استغلق على الكثيرين أمثالى ، من غير المشتغلين بالعلم ، ولكن هذا لا يهم ، فنحن ـ أنا وأمثالى ـ نأخذ الأشياء بظواهرها ، وليس بأسبابها ، ونعزى أنفسنا ، شأن قليلى الحيلة ، بقول المثل (لو كل شخص نَجَر ، لما بقى فى الوادى شجر) . ولكن الذى أثار اهتمامنا حقًا ، أنا وأمثالى .. كيف استعاد السيد (موا) شبابه ؟ هذا ما هز مشاعر الجميع ، دون ريب .

أعود فأقول :

بعد أن قام العلماء بتفسيراتهم تلك ، عادوا فاختلفوا على أمر ، كانوا غير متأكدين منه تمامًا .

هل يمكن للسيد (موا) بعد استكمال تدريبه ، أن يتذكر حياته السابقة ؟..

واستعان كل فريق من العلماء بلفيف من أطباء البدن ، وأطباء النفس ، لتعزيز وجهة نظره .

قال البعض : إنه مخلوق جديد ، ليس له علاقة بالإنسان الماضى المتهدم ، إلا بالشكل العام المجرد . حيث إنه مختلف عنه بوحدة البناء . « الخلية » ، من حيث نظامها . والدليل أنه رغم استعادته صحته ، كما هو حاصل الآن ، إلا أنه لا يتذكر شيئًا من خبراته السابقة .

ورد الآخرون :.. كلا .. إنه ليس جديدًا كل الجدة ، وبصورة مطلقة ، ومحتمل أن يستعيد ذاكرته ، وإلا لِمَ احتفظ بكل سماته الخارجية ، كشكل ملامح الوجه ، والطول والأسنان .. إلى آخره ؟

أجاب أصحاب الرأى الأول :.. لو لم يحتفظ ، ببعض سماته ، لتحرر كليًا من أية صفة ، تدل على هويته ، وقد لا تدل حتى على إنسانيته .

وتساءل أصحاب الرأى الثانى :

هل هناك تدبير مسبق ، يروم أن يدلنا على هويته ، أو إنسانيته ؟..

ولم يحر أصحاب الرأى الأول جوابًا .. لقد أفحموا ، رغم أنهم على حق لأنهم لم يستطيعوا أن يقدموا تفسيرًا ، كذا المنطق العلمى ، فى طلبه الملحّ للبراهين ، مختلف عن الإحساس المكتفى بذاته . وترك القول الفصل إلى السيد (موا) ، بعد أن يتدرب على الحديث ، أن يقرر ، هل يتذكر ماضيه ، أم لا ؟

كنت أتتبع العلماء على مدى أسبوع كامل ، على صفحات الصحف ، التى تغربل التقارير الصادرة من العلماء من كل الرموز والاصطلاحات والمعادلات ، وتبقى على ما يمكن فهمه لكل الناس . وكان ما مضى ، ملخصًا لوجهات النظر .

هذا كل ما يمكننى علمه بالموضوع ، لو كنت بعيدًا عن عائلة السيد (جعود) ، نعم سينتهى علمى بالموضوع بانتهاء تقارير العلماء المتوالية لمدة أسبوع ، والتى تنشرها الصحف تباعًا ، كما ذكرت ، ولانتهت معلوماتى بهذا الخصوص بتسليم (موا) إلى عائلته ، ورجوع العلماء كل إلى مهامه الأخرى ، بعد أن انتهى عقدهم مع الشركة المعنية بالتجميد ، بعد استنفاد الغرض منه ، وهو يقظة السيد (موا) .

رجع العلماء إلى مهامهم . ينتظرون مرور السيد (موا) بجميع مراحل الطفولة ، وبعد أن استنفدوا كل فحوصاتهم عليه للمرحلة التى هو عليها الآن ، وظلوا منتظرين ، حتى يجتاز المرحلة ، ولحين استدعائهم مرة أخرى ، لإتمام فحوصاتهم ، وتقديم تقاريرهم مجددًا .

نعم .. كان مثلى مثل غيرى ، فى هذا الموضوع . ولكن كما قلت ، فوضعى فى تلك العائلة ، يعتبر امتيازًا من حيث أفضلية حصولى على المعلومات ، حتى على العلماء أنفسهم . خاصة بعد

أن ضرب السيد (جعود) الحصار على قريبه ، كى يجعله بمنأى عن أعين العلماء ، حتى يمر بالفترة التى يمر بها الأطفال عادة . وكان قدّر مدتها ، بينه وبين نفسه ، حسب ما لمح لى ، بثمانية عشر عامًا . حتى الطفولة أطال السيد (جعود) أمدها ـ حسب ما يلائم أغراضه ـ ، متعللًا دومًا ، أنه لا يمكن لأى إنسان أن يصبح راشدًا ، إلا بعد مضى هذه المدة . وكان يساعده فى فرض ذلك الحصار ، الوصية التى استخرجها من مديرية رعاية شئون القُصَّر ، لرعاية جده .

ولكن لنترك الحديث عن هذا الموضوع إلى ما بعد ، ولنعد إلى مجريات الأمور فى تلك الأيام .

أصيبت (تودا) بخيبة أمل نتيجة تقديراتها السابقة ، بالنسبة للجد (موا) ، كما تسميه .. لكنها سرعان ما وجدت التعويض . فقد حرصت ، وبإصرار ، وبصفتها حفيدته ، على أن تتحمل عبء العناية به ، وتدربه على الحياة الجديدة عليه .

وكان لابد له من مربية . وفى نفس الوقت ، كانت الشركة المعنية به ، قد انتهت مهمتها بنجاح . وهى تهتز طربًا ، وتدق طبول الدعاية لإعادتها شبابه إليه .

ولكنها فى نفس الوقت ، كانت أيضًا غير مستعدة لمزيد من التكاليف ، لذا فقد صرفت العلماء والفنيين بعد دفع أجورهم . وبما أنه فى الوقت ذاته ليس من وصى عليه ـ لأن أحدًا لم يتوقع يقظته وهو على مثل هذه الحالة ، لذا تسلمت مديرية أموال القُصَّر جميع ثروته . ورأت تلك المديرية ، أن من الأنسب أن تعهد به إلى ذويه لتربيته . فقامت بنصب السيد (جعود) وصيًا عليه (دون أمواله) للقيام بتربيته .

وهكذا تسلمته (تودا) ، فرحة به مرة أخرى ، وقد وجدت لعبة جديدة ، تثير اهتمامها . وفرح الأب أيضًا ، فقد وجد هو الآخر ذلك الجد معينًا لا ينضب من المصاريف ، التى تدفعها له مديرية رعاية أموال القاصرين ، أول كل شهر .

وعدت إلى وطنى ، تهزنى الدهشة ، والغرابة لكل ما رأيت ، وما سمعت ، وما قرأت هناك .. ياله من عالم جديد .. جديد .. مرددًا لنفسى : لا خوف بعد الآن من الشيخوخة ، ومحلقة بى آمالى إلى دنيا المستقبل الطويل .

★ ★ ★

تكررت زياراتى فيما بعد إلى منزل السيد (جعود) ، مثلها فى السابق ، أى كلما استدعت أعمالى السفر إلى هناك . فكنت أفرح للفرصة التى ستتاح لى ، فعلى الرغم من أن (تودا) تكتب لى بين آن وآخر عن الجد (موا) ـ وكنت رجوتها ذلك ـ وهى كما لاحظت واجدة متعة فى الكتابة عنه ، إلا أننى كنت مشوقًا دومًا لرؤيته .. ليس محبة لطلعته الوسيمة حقًّا . ولكن كما قالت (تودا) ذات مرة لشدة فضولى ـ من غير علمى ـ كما وصفت هذا الفضول .

كان الجد (موا) خلال الأشهر الثلاثة الأولى ، كما ذكرت (تودا) فى رسائلها ، قد تعلم الجلوس ، وتناول الطعام الناشف بيده ، أما السوائل فقد كان يتناولها بمساعدة (تودا) . وكتبت بعد ستة أشهر أخرى . إنه سريع التعلم جدًّا . تصور أنه قرأ كل كتب الأطفال ، التى جلبتها له ، وبدأ الآن يتوجه إلى الكتب الخاصة بالكبار . وأنه كذلك يرسم بدقة ، أى شىء أمامه . إنه يتقن كل شىء أعلمهَ إياه ، أو يعرض له من تلقاء نفسه ، يا له من طفل وجدّ عزيز .. أحيانًا كثيرة ، أنسى أنه جدى ، فأدلله كطفلى .

كتبت بعد فترة أخرى .. ولكن الشى المحير ، أنه بارد العواطف جدًّا ، هذا الجد (موا) ، فلا يثير عواطفه شدة تعلقى به ، وعندما أتغيب عنه لا يفتقدنى . وإنما يسأل عن موعد وجبته المتأخرة . وعندما أحضر لا يفرح لحضورى ، وإنما يسأل ماذا عملت ، وماذا رأيت ، وما المانع من اصطحابى إياه ؟ فى الحقيقة إننى أود أخذه معى أينما ذهبت . ولكن أبى يعارض ذلك . قائلًا : دعى الناس تنساه .. كيف بالله عليك ، ينسى من كان شيبًا ، عاد إليه شبابه . لم أستطع إقناعه بذلك أبدًا . إنه يحبه ، يخاف عليه خوفًا شديدًا لكأن أحدًا سيختطفه منه . وأحيانًا أخرى يحتج ، بأن مجرد علم الناس ورؤيتهم إياه يجعلهم يتجمهرون حولنا .. أنا لا أرى ضيرًا فى ذلك ، وأعتقد أن الجد (موا) لا يرى ضيرًا فى ذلك أيضًا .

هذه نتف مما كتبته (تودا) عن جدها ، أما أنا فأذكر ، أننى عندما دخلت غرفته ، بعد ثلاثة أعوام من يقظته ، رأيت شابًّا وسيمًا ، ذا هيكل ، وبنيان متين ، حليق اللحية والشارب ، ولاحظت أن شعره بدأ يكثف ، نتيجة للتغذية الجيدة ، التى تتحفه بها (تودا) . وكان يرتدى بنطالًا من الجينز الجيد ، وقميصًا مطبوعًا برسومات متداخلة ، وكان مفتوح الصدر .

كل ما يلبس من ثياب أحضر إلى المنزل ، وحتى الآن مشترى من قبل (تودا) ، أو أبيها . لأن السيد (موا) كما فى علمى لم يغادر المنزل ذاهبًا إلى السوق ، أو أى مكان عام آخر قط .

الخلاصة كان شابًّا ، مكتملًا للرجولة والشباب . حتى أنى عجبت فى نفسى كيف يستسلم مثل هذا الشباب المتفجر حيوية إلى الحصار المضروب حوله ؟

وأتذكر أنه تناول يدى الممدودة بالسلام ، ولامسها بأطراف أصابعه ، وكأنه يؤدى واجبًا ثقيلًا ، أو يخشى مكروبًا ملتصقًا بيدى . ولاحظت أيضًا ، أنه لم يكن فى لهجته ، ولا تصرفه فى رد التحية ما يوحى بالتودّد ، كما لا يوحى بالنفور ، لقد كان جادًّا فقط .

جلست على المقعد المجاور لمقعده ، دون أن يطلب منى ذلك . وبعد أن طالت فترة الصمت بيننا ، حاولت أن أتكلم ، جلبًا للتفاهم :

ماذا تفعل .؟

« إننى أقرأ .. كما ترى ... » .

قال ذلك ، دون أن يرفع رأسه عن الكتاب الذى بين يديه ولم يبد عليه أية دهشة أو اشمئزاز ، من تدخلى فى شئونه . فارتحت ، ولم أشعر بالخجل . فى الحقيقةِ ما كنت لأطرح ذلك السؤال لو لم أفكر ، أن رضاءه بالحصار يعزز فى الذهن أنه لا يزال ذلك الطفل الكبير المستخرج حديثًا من حضانته .

أخرجت علبة سجائرى .. وأجلت الطرف فى أنحاء المكان . كانت الغرفة التى خصصت له فسيحة الأرجاء ، بها كل وسائل الراحة ، على جانب منها سرير واسع ، يزيد فى حجمه على حجم السيد (موا) ، بل يسع ثلاثة من أمثاله ، وهناك فى إحدى الزوايا طاولة ، صفت عليها أجهزة التليفزيون والفديو والراديو والمسجل ، وفى الواجهة القريبة من الباب بين النافذة والباب مكتبة عريضة ، صفت بها أنواع مختلفة من الكتب .

قال السيد (موا) على حين غرة . بعد أن اشتم رائحة الدخان .

« تعلمون أن التدخين مضر بالصحة .. ومع ذلك تدخنون .. لماذا ؟ » .

دهشت ونظرت إليه ، فلم أر أدنى سخرية أو غضب فى لهجته .

قلت .. نعم .. إنه مضرٌ بالصحة ..

سأل بتعبير جاد . كل الجدية :
« لماذا .. تدخن إذن ؟.. » .

تعودت عليه .. لذا لا أستطيع تركه ..

« إذا كان الأمر عادة .. تستطيع أن تتعود على تركه .. إلا إذا كان الأمر غير ذلك ..» .

ماذا تعنى بقولك غير ذلك ..؟

« قرأت .. أنه إذا كان هناك ضعف فى الجهاز العصبى فى نقطة معينة منه . سبَّب وهنًا فى قوة احتمال الشخص للمقاومة فى ترك مغرٍ ضارٍ به .. ونشأ عنده ما يسمى بضعف الإرادة ..» .

يا للوقاحة .. وقبل أن أفتح فمى لأجيب . قال وهو يمضى إلى النافذة لفتحها .

« تستطيع التدخين فى الصالة .. كما يفعل السيد (جعود) .. لا أريد أن أضر بصحتى .. » .

قال ذلك بلهجة عادية ، وكأنه لا يطردنى .. غضبت .. يا له من

رجل صلف ، عديم المجاملة .. ولكنى انسحبت إلى الصالة ، وفى نيتى أن أوجه بعض الانتقادات لتصرفه معى ، مع أى كائن هناك . ولكنى لم أجد أحدًا . فجلست على أحد المقاعد ، أنفث الدخان وأنا أتميز غيظًا وحدى .

ثم ضربت صفحًا عما أزمعته ، عندما رأيت (تودا) ، تنزل درجات السلم اثنتين ، اثنتين ، قافزة ، برشاقة ابنة العشرين ربيعًا .

صرخت مبتهجة ، وبإعزاز شديد :

أرأيته ؟ حتما لقد تغير فى نظرك ، بعد آخر مرة .. سنة ونصف تقريبًا .. » .

كنت قد وصلت إلى المدينة منذ أربع ساعات فقط . بعد غيبة سنة ونصف تقريبًا . وقد ذهبت لتوى من المطار إلى مقر الشركة التى أعمل بها ، ولكنى لم أجد السيد (جعود) هناك . فرتبت بعض الأمور الخاصة بالعمل مع الموظفين . واتخذت عربة للأجرة تقلنى مع هداياى كالعادة إلى المنزل .

كانت الساعة الثانية ظهرًا .. أول من قابلنى السيدة (جعلانة) على سلم المنزل ، داخلة قبلى بخطوات .. سلمتها الهدايا ، بعد أن تبادلنا تحية قصيرة . وصعدت إلى مكتب السيد (جعود) . وبعد مباحثات حول العمل ، لم تستمر طويلًا . طلبت منه رؤية السيد (موا) فقال :

إنه فى غرفته .. تستطيع النزول إليه .. لذا لم أر (تودا) إلا فى هذه اللحظة .

تلقفت يدى الممدودة بمرح ، ولكنها لم ترد تحيتى ، ولم تنتظر منى ردًا على تساؤلها السابق ، وإنما استطردت مفسرة ما رأيت :

« أتصدق ؟. إنه سريع التعلم .. لقد قرأ عددًا هائلًا من الكتب .. وهو لا يزال فى حيوية ابن الثامنة عشرة .. فإذا سار على هذا المعدل فسوف يصل فى مدى قصير ، إلى عالم فيلسوف .. وعالم فى أى منحى .. إن أبى ..

سكتت دفعة واحدة .

تجاهلت ما تريد قوله ، لأننى أعرفه مسبقًا . وحتى لا تشعر بالحرج لتسرعها ، قلت : يا له من شاب قوى ..

أتصدق ؟. رجل فى الخامسة والثمانين .. لا بل فى الثامنة والثمانين ، بعد إضافة هذه الأعوام الثلاثة بعد يقظته .. له مقدرة وحيوية ابن الثامنة عشرة .. » .

قلت معترضًا ، لمجرد الاسترسال فى الحديث ، ودون قناعة منى :

لعلك واهمة .. إنه ليس فى الثامنة والثمانين .. أنسيت أنه نما نموًا جديدًا ؟.

قالت ، وكأنها محصت الأمر تفكيرًا .

أنا أعارضك .. إذا كان ليس إلا طفلًا .. فكيف يتعلم بهذه السرعة .. أبى كذلك يعتبره طفلًا .. ولا يريد أن يصدق غير ذلك .. تتفق معه فى الرأى .. ولكننى على خلاف معكما .. إذا كان كما تقولان يجب أن يمر بنفس المدة التى يتعلم فيها الأطفال عادة ..

كما قال العالم (جودا) . أتصدق ؟. لقد زارنا العالم البروفيسير (جودا) يوم أمس ، ودون موعد مسبق .. لست أدرى .. يقول أبى إنه ليس من اللياقة زيارة الناس دون مواعيد .. إنه محق فى قوله هذا .. ولكن أعتقد أن العالِم اتخذ هذا الإجراء خوفًا من رفض طلبه .

ضحكت .. قال إن جميع خلايا جسمه بالغة .. ولكنها جديدة كل الجدة .. لذا نراه سريع التعلم .. لو أنه يتذكر ما مضى من أيامه .. إذن لكان وضعنا الآن يختلف من حيث .. من حيث القصص التى سوف يرويها لى .. ولكان لنا شأن آخر .. إنهما ينتظراننا على الغداء .. لقد جئت أقول لك هذا .

كان السيد (جعود) يستمرئ بقاء الجد (موا) فى منزله . لا يريد أن يطرأ على وضعه ذاك أى تغيير . وفى سبيل ذلك ، وخشية مما قد يستجد ، فقد قابل العالم (جودا) الذى زاره ، زيارة استطلاعية شخصية غير مندوب عن الشركة صاحبة العلاقة ـ كان أحد أعضاء هيئة اليقظة ، الذين انتدبتهم الشركة ، واستعانت بهم آنذاك قبل ثلاثة أعوام ـ وكذلك فهو غير مندوب عن أى هيئة عامة أخرى ، وإنما جاء بغرض استطلاع حالة السيد (موا) لتكوين فكرة فقط . بدافع من فضوله العلمى .

قابله السيد (جعود) ببرود شديد ، قائلًا .. إنه بصفته وصيًا رسميًا على جده القاصر ، ومخولًا بموجب ذلك عمل ما يراه مناسبًا للقاصر ، فإنه يرغب أن يبعد جده عن أى مؤثر خارجى ، حتى يشتد عوده .. قال هذا لكل من حاول الاتصال به ، مما جعل العالم يلقى نظـرة عجلى على الجد (موا) ، وينصرف مسرعًا . هذا ما قاله السيد (جعود) فى تبريره لطرده للعالم (جودا) .

وكان السيد (جعود) طيلة الثلاثة الأعوام الماضية ـ حسب نتف جمعتها لنفسى من (تودا) ، أو أمها ، والسيد (جعود) نفسه ـ كان يتجنب قدر الإمكان إثارة موضوع السيد (موا) ، مع أى إنسان عداى طبعًا ، لبعدى عن المحيط الذى يعيشه أولا ، ولشدة إخلاصى له ثانيًا .. لقد كان يحرص على أن تنسى حالة الجد لكن الصحف لا تريد ذلك . فكانت تظهر بين الحين والآخر ، متسائلة عن مآل السيد (موا) . وكيف يعيش وطبيعة عيشه ، وكانت الصحيفة التى يكثر إلحاحها ، يقاطعها السيد (جعود) ، ويمنع أفراد عائلته من إدخالها المنزل . حتى أنه لم يعد يبتاع الكثير منها . كما قالت (تودا) حائرة :

« لعله يخشى أن يطلع عليها الجد (موا) .. » .

لست على يقين لماذا السيد (جعود) يحاول فرض ذلك الحصار عليه ، ولكنى أكاد أخمن : أنه يخشى أن ترفع عنه الوصاية ، من قبل مديرية رعاية شئون القصر . فيستقل (موا) بنفسه ويتصرف فى أموره ، فيدير ثروته بنفسه ، وربما يتزوج وينجب ، فلا يصبح أقرب المقربين إليه .. وربما ابتعد عنه نهائيًا ولم يعد يره . وعندئذ ينقطع ذلك السيل العرم من المصاريف .. وينقطع الأمل فى الميراث العريض ، ولو أنه بدا من هذه الناحية أقل أملًا ، بعد أن استعاد السيد (موا) شبابه .

لكن هذا الحصار لم يدم طويلًا ، كما سيأتى تفصيله .

★ ★ ★

تكررت زياراتى بغرض العمل ، بعد تلك الزيارة .. وقد ألفت منظر السيد (موا) ، وصرامة طبعه . راقبته طيلة خمس سنوات ، ورغم قصر فترات الزيارة ، إلا أنها كانت كافية ، لأرى معلوماته تنمو ، وخبراته تتراكم . وكان يبدو عليه الذكاء الشديد ، وتوقد الذهن . وإلى جانب ذلك كان يبدو عليه شىء آخر ،

لم نستطع لا أنا ، ولا (تودا) أن نجد له تفسيرًا . فهو شديد الدقة فى كل ما يتناوله من عمل ، أو قول شديد الجدية ، بحيث تخاله صارمًا ، لا يضيع دقيقة من وقته ، دون أن يستفيد منها فى عمل ما ، أو فى مناقشة لفكرةٍ ما أو القراءة فى كتاب ما ، طلبًا لمزيد من المعلومات . بالإضافة إلى ذلك فهو مسالم جدًّا ، لم يثر شغبًا مطلقًا ، منذ حل بدار السيد (جعود) ، حتى حصار هذا الأخير له لم يغضبه ، أو هو أغضبه ، ولكنه لم يشأ أن يبدو عليه . نظامى إلى أقصى الحدود ، حتى أوقات نومه ، أو راحته كما يسميها ، محسوبة بالثانية يأوى إلى فراشه فى العاشرة تمامًا ، ويستيقظ فى الخامسة تمامًا .

تقول (تودا) فى صدد ذلك ضاحكة :

« أتصدق .. أننى أضبط ساعتى على موعد يقظته أو رقاده ولا يمكن أن تخطئ ساعتى بعدئذ .. أحيانًا أفكر ، لو أن الصدفة جعلته ينام العاشرة صباحًا ، ويستيقظ الخامسة مساءً ، فإنه سيستمر على هذا المنهاج طيلة عمره ، ينام صباحًا ويستيقظ مساءً .. يا للجد العزيز العظيم .. » .

وقالت لى (تودا) مرة أخرى . بعد ذلك الحدث ، بأيام قلائل ، وكنا نتنزه فى الحديقة الخلفية لمنزلهم ، وقد احمر وجهها احمرارًا شديدًا . وكالعادة كان موضوع حديثنا الجد (موا) ـ فهى تحبه ، وأنا أهتم به كظاهرة غريبة ـ قالت :

« أتصدق .. لقد شرع ليلة أمس بخلع ثيابه ، وأنا لا أزال فى غرفته ، دون أن يهتم بوجودى ، ولو لم أسارع إلى مغادرة الغرفة .. فى الحقيقة لقد قام بذلك عددًا من المرات .. يا للجدد

الغريب الأطوار .. لقد ألمحت له عما فى عمله ذلك من .. من .. ولكنه لم يأبه لما أقول .. يبدو أنه لم يفهم التلميح بعد ، فهو ينظر إلىّ دون أن يرد .. » .

استغربت أن يصدر عنه مثل هذا التصرف ، رغم ما يتصف به من جدية .. وانصرفت أفكارى ، ربما بعيدًا عن أفكار (تودا) .. فقلت بشىء من الحرج :

« لعله يفهم ، ولكن لا يهتم .. لو تزوج .. لكان فى نظرى .. لِمَ لا يتزوج ..؟ .. إن شابًا قويًا ، وعلى ما هو عليه من حيوية ، لمحتاج قطعًا إلى الزواج .. ألست معى فى هذا ؟.. » .

فقالت بشرود ، وكأننى نبهتها إلى أمر غاب عنها :

« نعم .. نعم .. ولكن أبى .. هل يوافق ؟..» .

★ ★ ★

وذات يوم ، بعد مضى عامين آخرين ، أى بعد أن أتم الخمسة أعوام من يقظته . كان لغط الصحف قد كثر عن الحصار المضروب حول السيد (موا) وتساءلت بكل صراحة عن السبب الذى يمنع كل من يريد زيارته ، ويرغب فى التحرى عن حالته .. وقالت الصحف ، إن من حق جميع الناس الاطلاع على حالة السيد (موا) ، لأنه ظاهرة علمية ، قبل أن يكون جدًا لعائلة ما .

وكان السيد (جعود) أخشى ما يخشاه تعرض الصحف له ، فهو مستعد لمعاداة أى من الناس ، إلا الصحافة ليس له قبل بدفع أذاها عنه وها هى الصحف الآن بعد أن أعياها التلميح لجأت إلى التصريح وبدأت تهاجمه ، متسائلة عن سبب وماهية الحصار المضروب حول السيد (موا) .

قلت ، بعد أن كثر إلحاح الصحف حول ذلك الحصار ،

ومطالبتها بفكه . انتبهت مديرية إدارة أموال القصر للأمر وخشيت أن تكون تعرضت إلى استغلال ما من قبل السيد (جعود) ، لسلب أموال القاصر (موا) .

وكان السيد (جعود) مكروبًا ، من مهاجمة الصحف له ، لذا ، فحالما علم برغبة مديرية رعاية أموال القصر بفحص السيد (موا) .. ولإثبات حسن النية ، كما قال ، وافق على الطلب مسرعًا . ادعى ذلك ، رغم أن الأمر لا يعدو أن يكون أسقط فى يده . ولذا لم يسعه غير تحديد موعد لفحص السيد (موا) ، مشترطًا أن يكون ذلك فى منزله ، رافضًا رفضًا باتًا ، بصفته الوصى المكلف برعايته ، أن يخرج السيد (موا) من منزله ، خشية أن يتعرض الأخير إلى مؤثر خارجى ليس فى مصلحته . وكان هذا آخر حصن لجأ إليه السيد (جعود) ، وآخر حجة تذرع بها ، ليبرر تصرفه . رغم أن هذا الخوف غير منطقى ، وهذا الحرص لا يستند إلى أساس . إلا أن مديرية رعاية أموال القصر وافقت عليه ، أى على شرطه ذاك ، منعًا للإشكال ، وكى لا تطيل المدة فى الأخذ والرد ، على هذا الطلب المستجد . مما اضطر اللجنة المشكلة من العلماء والأطباء ـ وكان معظمهم ممن اشتركوا فى عملية إيقاظ السيد (موا) ـ اضطرهم ذلك إلى نقل أجهزة عدة ، إلى منزل السيد (جعود) ، بحيث تحولت صالة الطابق الأول إلى ما يشبه المختبر الصغير . وكان العلماء على دراية تامة بما يحتاجونه ، مستفيدين من خبراتهم فى التجربة الأولى ، لذا كان التجهيز كاملًا .

لم يتبرم السيد (جعود) بالأجهزة والآلات التى ملأت صالته ، لقد كان ذلك بالنسبة له أفضل من نقل الجد (موا) خارج المنزل .

لقد طلبت مديرية رعاية أموال القصر من اللجنة المشكلة رفع

تقرير عن حالة السيد (موا) العقلية .. وهل يمكنه أن يتسلم ثروته ، أم هو ما يزال فى حاجة إلى وصايتها ؟

ولحسن الحظ ، كنت أقدمت على العائلة فى وقت مبكر من ليلة البارحة . أى قبل موعد الاجتماع لفحص السيد (موا) ، بتسع عشرة ساعة فقط . وذلك تلبية للتلكس الذى أرسلته (تودا) لإخبارى بخبر الاجتماع .

عجبت حين دخلت المنزل من ازدحام الصالة ، ولم يدر فى خلدى أن الفحص سيجرى فى المنزل ولكن فيما بعد ، صفقت طربًا ، لدى علمى بالأمر من (تودا) التى قالت دهشة لشدة فرحى :

« كم أنت تملك من الفضول العلمى ؟ .. » .

وسرنى قولها هذا مرة أخرى . لقد سمعت هذه العبارة ، قبل خمسة أعوام ، ولكنها لم تفقد جدتها فى سمعى .

فى الساعة الرابعة من مساء اليوم .. كانت حلقة العلماء المكونة من ستة أشخاص . كل واحد منهم مختص ، أو عالم فى فرع من فروع المعرفة . فمن عالم بالفيزياء ، إلى عالم بالكيمياء ، إلى عالم بالوراثة ، أو تطور الأجناس ، أو الطب البشرى ، أو الطب النفسى . بالإضافة إلى بعض الفنيين فى مختلف المجالات العلمية الخاصة بالموضوع .

انتظمت الحلقة أمام طاولة مستديرة ، حسب طلبهم . ولم يكن فى منزل السيد (جعود) طاولة من هذا النوع ، فسارع إلى شرائها ، وأنا على يقين أو ما يشبه اليقين من أنه سيضاعف ثمنها ، ويضيفه إلى مصاريف الجد (موا) ، كما يقول .

لم يحضر أحد من الصحافيين ، طلبًا للهدوء التام ، ولذا فقد أخفى

الأمر ، وأرجئ الإعلان عنه إلى حين ، وقيل إن تقريرًا ، أو بيننا سيوزع على الصحافة فيما بعد . أما الآن فيلزم الهدوء التام . وقد اعترض أحدهم على حضورى و (تودا) . ولكنّا أكدنا لهم ، بأنهم لن يسمعوا منا أية نأمة ، تشير إلى وجودنا . فجلسنا أنا وهى على أريكة متقاربين ، خلف الطاولة المستديرة ، ذات الكراسى الثمانية ، والذى بقى أحدها شاغرًا .

أما السيد (جعود) فقد تخلى طوعًا عن حضور الاجتماع ، خاشيًا أن يبدو عليه امتعاضه .

وكان منذ الصباح يبدو ساخطًا ، متبرمًا ، ضيق الصدر ، عصبى المزاج ، يكاد ينفجر غاضبًا لأول وهلة .. فتجنبناه كلنا . وأنا بالذات خشية أن يبدر منه ما يزيل ما بيننا من صداقة ومحبة .. لأننى فى الحقيقة مفرط الحساسية ، شديد الاعتزاز بكرامتى . ولربما من يجرحنى مرة لا أنظر فى وجهه بعد ذلك أبدًا .. وكان السيد (جعود) يعرف عنى ذلك الطبع المرهف ، لذا كان رقيقًا معى دومًا .. مطلقًا صفتى هذه على جميع العرب ..

« أنتم العرب .. ينبغى أن يصنع من أعصابكم أوتار ، يعزف عليها لرقتها .. » .

وكنت أحضرت له عودًا ، كهدية ، حين قال جملته هذه ، وهو يجربه .

قلت إن السيد (جعود) خشى أن يبدو عليه امتعاضه ، لذا اصطحب زوجته معه وخرجا إلى مكان ما .

افتتحت الجلسة .. وبالغرابة ما حدث فيها .. شيء يجل عن الوصف ، لم يتوقعه أحد منا .. إن كلمتي : مدهش ، وغريب لا تعطيان المدلول المراد ، في وصف تلك الجلسة .. لنتابع .

ألقى أحد العلماء سؤالًا روتينيًا موجهًا الحديث إلى السيد (موا) .. ما اسمك ؟..

« أنتم تعلمون اسمي .. فلا أرى مبررًا لسؤالكم عنه .. » .

فقال العالم موجهُ السؤالِ الأول .. كيف عرفت أننا نعرف اسمك ؟

« قال أحدكم : ليجلس هنا السيد (موا) .. » .

فسأله .. هل تعرف أين أنت ..؟

أجاب السيد (موا) بتلقائية .. إنني أعرف .. أنا في منزل السيد (جعود) .

« بأية صفة أنت الآن في منزل السيد (جعود) .. ؟ » .

أجاب بنفس لهجته السابقة :

« إذا كنت تريد معرفة السبب فحسب .. فأنا سمعت من (تودا) ، وكذا (جعلانه) ، أو (جعود) نفسه ، وما قرأته في الصحف أيضًا ، أنه لدى كينونتي ، قبل خمسة أعوام . تطوعَتْ ـ وأنا لا أعرف ماذا يراد بكلمة تطوعت ولكنني سوف أطلقها كي تفهمونني .. حتى لو كانت بالنسبة لي ، مثل قولي إن ضوء الشمس هو ضوء القمر ـ أقول تطوعت وهو في الحقيقة طلبت (تودا) أخذي لتدريبي .. ووافقت هيئة وصاية على أموال يقال إنها

تخصنى .. مع أنه ليس لدى مال .. وأنا لم أعمل بعد كى أحصل على مال حتى الآن .. وهذا خطأ وإنما ليس فى تكوينى ، ولكن من المحيط الذى وجدت فيه .. فأنا أستطيع أن أعمل دون توقف ، إلى أن يحين وقت راحتى وأحتاج إضافة إلى ذلك بعض الوقت لتناول الطعام ، أو التخلص من الأوساخ والفضلات ـ ليس هذا إجابة للسؤال ، ولكنه شرح اعتراضى ـ أما إجابة السؤال ، فهو أن تلك الهيئة ، الموكولة بأموال القصر كما يقال ، وافقت على انضمامى إلى السيد (جعود) ، الذى حسب ما قيل . دون تعزيز من رأيى لما قيل ، إننى سبقته فى الوجود . وأنه جاء نتاجًا لجزء من جسمى ، انتقل عبر حقبة من الزمن حتى استقر به » .

التفت العلماء بعضهم إلى بعض وتبادلوا النظر .. مؤكد أن أحدًا لم يتوقع هذه الإجابة الغريبة التى لم يفهموا مغزاها .

وفكرت أنا ، ماذا ستكون ردة الفعل لدى السيد (جعود) ، لو أنه سمع السيد (منوا) ، وهو يتحدث عن المحيط الخاطئ الذى وضع فيه .

التفتّ إلى (تودا) أثناء تفكيرى هذا ، فلم أر على وجهها إلا علائم الافتخار بجدها وإجابته المذهلة .

وعاد أحدهم إلى التساؤل :

« ألا تذكر شيئًا من سابق أيامك ؟ » .

« إننى أذكر كل شىء عن سابق أيامى .. إن لدىّ ذاكرة خازنة قوية » .

تحركت (تودا) ، لكأنها تهم بالقفز .. لكنها تذكرت فيما يبدو وعدنا بالهدوء ، فعادت إلى السكون . عاد نفس السائل إلى القول :

« إذن ، كيف تقول حسب ما يقولون .. دون تعزيز من رأيى ؟.. » .

« ولأننى لا أعرف عمّ يرمون بقولهم ، بأننى سبقته بالوجود .. وأنا لم أتكون إلا منذ خمسة أعوام فقط ؟ » .

« إذن .. فأنت لا تتذكر ؟.. » .

« قلت إن لى ذاكرة قوية .. » .

« نحن نقصد حياتك السابقة .. قبل مائتى عام .. » .

« لم أعش قبل مائتى عام .. ولا أعرف عمّ تتحدثون .. وكلمة أقصد غير مفهومة فهمًا واضحًا .. ولا أعرف علام ترمز بالضبط .. إننى اسمع ترديدها دائمًا .. ولكن ليس من خصائصى التعامل بها .. لأنها غير معروفة معرفة تامة .. » .

فقلت لنفسى إنه لا يزال طفلًا .. محقة (تودا) .

وأخرج أحدهم صورة السيد (موا) ، وهو فى الخامسة والثمانين من عمره .. مدها إليه متسائلًا :

« ألا تعرف صورة من هذه ؟.. » .

« كلا .. لا أعرف من صاحبها .. إن العلاقة موجودة بين هذه الصورة التى معك الآن ، والصورة المعلقة هناك على ذلك الحائط .. »

وأدار جميع العلماء رءوسهم ، حيث أشار .

كانت صورة السيد (موا) العجوز معلقة فى إطار كبير فى صدر القاعة . وتحت الصورة ، داخل الإطار كتب التعريف التالى ـ (موا ديوا صون) ـ وتاريخ ولادته ، وتاريخ تجميده .

فقال أحدهم : « ألا ترى الشبه بينك وبين صاحب الصورة ، شبهًا تامًا . والفارق فقط فى الشباب ، ولا نستطيع أن نقول فى السن .. » ؟

« لست مسؤلا عمن وضع ذلك التشابه .. وهذا لا يبرهن العلاقة بيننا .. قد يكون الأمر مدبرًا لأمر ما لا أفهمه .. إن الذى أفهمه هو تاريخ كينونتى .. وهى حتمًا كما هو واضح ، إننى خلقت بعده ، بعشرات السنين » .

ووضعت علامة خطأ فى موازاة كلمة ذاكرة ، فى جميع الأوراق التى أمام العلماء الستة .

قال أحد العلماء الأطباء ، موجهًا الحديث إلى السيد (موا) .. هل تسمح لنا بفحصك فحصًا شاملًا .

فنهض السيد (موا) دون أدنى ممانعة ، وشرع فى خلع ثيابه ، قطعة قطعة ، حتى أصبح عاريًا تمامًا . احمر وجه (تودا) ، وألقت بنظراتها بعيدًا . ولكنها لم تنهض من مكانها . لقد أصابتها عدوى فضولى .

تمدد السيد (موا) على الطاولة المعدة للفحص ، عاريًا كما ولدته أمه . فقام أحد الفنيين ، ودون أن يطلب منه ذلك ، بتحريك بعض الآلات الكبيرة الحجم ، بحيث حجبت رقدته عن نظرنا أنا (وتودا) ، وقام ثلاثة من الأطباء بفحصه فحصًا شاملًا .. تارة مجتمعين .. وتارة متناوبين .. استغرق الفحص ثلاث ساعات تقريبًا . وبعد إجراء بعض التحاليل المخبرية . عادوا ليضعوا أمام

كلمة عقيم علامة صح ، وتبعهم بقية العلماء فى وضع تلك العلامة كل فى ورقته .

بدا سؤال حائر على أوجه العلماء . ولكنهم حسموا أمرهم بالإشارة ، التى بدت مستعصية الفهم على السيد (موا) وبدا أنه يرى لأول مرة أناسًا تستخدم الإشارة فى الحديث .

قال أحدهم سائلًا .. هل تحب ؟ .. أو هل فى نيتك أن تحب ؟.. أو ما ..

فقاطعه السيد (موا) بسؤال آخر :

« لا تظن أننى لم أسمع بهذه الكلمة .. ولكننى أروم تعريفها .. ما هو الحب ؟ .. » .

قيل له .. إن الحب عاطفة سامية .. يشعر به اثنان . كل تجاه الآخر ، إن أيًا منهما لا يستطيع الاستغناء عن الآخر .. » .

وضحكت (تودا) فى خفوت ، ولكزت جنبى .. ولكنى أشرت بالصمت . رغم أن هذه أول مرة تبدر منها بهذا الموضوع مثل هذه البادرة ..

قال السيد (موا) : « إذن .. فأنا لا أحب .. لأننى أستطيع الاستغناء بنفسى .. » .

واستطرد ، وكأنه يشرح لنفسه : « الحب هو عدم الاستغناء عن الآخر .. ولماذا الآخر فقط .. أحيانًا .. قد أحتاج .. ليس دائمًا .. إلى بعض أو عدد من الأشخاص .. إذن فأنا أحيانًا أحب ، وأحيانًا لا أحب .. » .

ثم استطرد متسائلًا :

« العاطفة ، هى الحب ، كما جاء فى تعريفكم السابق ، ولكن ما تعريف « سام » ؟.. لم أجد من يجيبنى على مثل هذه الأسئلة .. (تودا) تهرب عندما أطرح عليها أمثال هذه المواضيع .. أعتقد أن مستواها العقلى أقل مما يجب بالنسبة إلى عمرها الزمنى .. وهو كذلك بالنسبة للجالس قربها ، الذى يرمز له (بخالد) ، ومع ذلك فهو لا يأتى إلى المنزل إلا لمامًا ، ولم أتحدث معه إلا شذرًا .. وكذا (جعلانه) من حيث مستوى الإدراك .. أما (جعود) فلم أستطع اكتشاف مستواه العقلى جيدًا . فهو لا يعطى فسحة من الوقت للحديث معه ، فهو إما يعمل خارج المنزل ، أو داخله .. وأنا لم أحتك بغيرهم .. لذا لم أجد غير الكتب .. والكتب كما تعلمون لا تستطيع المحاورة .. وقد لا أجد فيها إجابة على السؤال الذى يطرأ على عقلى فى أية لحظة .. » .

وتوقع أحد العلماء ، أننا سنغضب ، أو نثور لحديثه ، عنا على هذه الشاكلة .. فالتفت إلينا مسرعًا ، وغمز لنا بإحدى عينيه ، مبتسمًا ومهدئًا . وفى الحقيقة لسنا ندرى أنا (وتودا) كيف سيطرنا على أعصابنا . لعله الوعد بالتزام الهدوء ، أو لعل دهشتنا هى التى منعتنا من الثورة عليه .

أجابه اثنان من العلماء بنفس واحد .. السمو هو ذروة الشىء .. أو خلاصته .

وقال الآخر .. رفعة الشىء .. أو ذروة جماله ..

وبدا على العالمين الحيرة لتعريفهما ذاك .. هل أصابا الهدف أم لا ؟.. وبدا لى أنهما ليسا فرسانًا فى هذا المضمار .. يكفيهما العالم

الداخلى من أجسامنا ، من ذرات وخلايا وجينات .. ليَدعوا الباقى لنا ..

وضحكت فى سرى رغم مشاعر الغضب التى تغلى فى داخلى على السيد (موا) ، لقد كنت أضمر له شرًّا مستطيرًا .

همست (تودا) بأذنى .. وكأنها قرأت أفكارى .

« منظر طريف .. نخبة من العلماء ، تتحدث عن الحب بدلًا من الخلية والجينات والذرات ..» ولكزتها ، أنا هذه المرة فى خاصرتها ، طالبًا منها السكوت .

« إذن .. أنا فى ذروة الاستغناء بالنفس الآن .. » .

قال العبارة السابقة السيد (موا) .

وأشار العلماء بعلامة خطأ أمام كلمة الحب ، أو العاطفة ، فلست أذكر بالضبط .

وعاد أحدهم يسأل ، وهو يبدو عليه الحرج .

« ماذا بشأن الخجل .. هل تشعر بالخجل أحيانًا ؟ .. » .

فتساءل السيد (موا) : « ما هو الخجل ؟ أريد معرفة هذا أيضًا .. » .

قيل له :

إن الخجل شعور ناتج عن إتيان عمل غير طبيعى بالنسبة لمجتمع ما .. أو هو غير متعارف عليه اجتماعيًا .. وأحيانًا يحرمه الدين ، أو يخدش الشعور ..

سأجيب .. جملة .. جملة .. قال السيد (موا) . ثم استطرد :

« إتيان عمل غير طبيعى .. أنا لا آتى بمثل هذا العمل .. إذن فأنا خجول .. التعارف الاجتماعى .. لعل هذا ينهى عن الإتيان بعمل يكون ضارًا بالمجتمع .. وأنا لم آت بمثل هذا العمل قط .. فأنا خجول .. خدش رمز لشىء معروف ولكن مايرمز إليه بكلمة شعور ، غير معروف .. كلمة حرام .. أو يحرم .. من رأيى عدم إطلاقهما على شىء محدد .. وفى النهاية أنا لا آتى بعمل غير طبيعى .. إذن فأنا خجول .. » .

وابتسم بعضهم على الرغم منه .. وقال آخر زيادة فى الإيضاح :

« ولكنك تخلع ثيابك على مرأى من الناس .. وخلع الثياب هكذا غير متعارف عليه اجتماعيًا .. » .

أجاب :

« لقد طلبتم فحصى .. ولن تستطيعوا تأدية عملكم بصورة متقنة مع هذه العوائق .. كما أن ارتفاع درجة الحرارة فى الجسم نتيجة مؤثر خارجى أمر طبيعى .. وبالتالى فإن خلع الثياب عند ارتفاع تلك الحرارة يقلل منها .. إذن فالأمر لا يعدو كونه أمرًا طبيعيًا .. أما العرف الاجتماعى فهو غير معروف الماهية لدىّ إذا كان بعيدًا

عن الأمور الطبيعية ، إلا ما ذكرتموه قبل لحظة . ألا تفسروه ؟ .. » .

كان يجيب الأسئلة ، ويوجه الأسئلة الجدية .. فلم يبد عليه أنه يحاول أن يتخلص من إجاباته .. أو يقلل من شأن الأسئلة الموجهة إليه .. أو يبرر تصرفه لمجرد أن يظهره مقبولًا . بل يبرر تصرفه وكأنه يقرر حقيقة علمية ليس غير .

« العرف يقول .. أن لا تأت أمرًا تخجل منه .. » .

« لم آت أمرًا أخجل منه .. حسب تعريفنا السابق .. » .

« ولكن العرف يقول إن خلع الثياب أمام الناس أمر مخجل .. » .

« يقول العرف .. يقول العرف .. هل العرف .. شخص يتكلم ؟.. » .

« إذن نحن نقول ذلك .. » .

« إذا كنتم أنتم .. لنتناقش ، وبعدها نقرر حقيقة علمية .. هل يتعارض خلع ثياب شخص ، أمام شخص آخر ، مع نظام الكون .. هل يسبب تدميره ، أو خرابه .. إذا كان الجواب سلبًا .. إذن فهو أمر طبيعي .. » .

« ليس كذا .. ولكنه يخدش الحياء .. » .

وشدت المناقشة انتباه كل منا .. أنا و (تودا) .

فأمسكت بيدي تضغطها . وكأنها تلفت نظري ، وتشد انتباهي

إلى ما تجلى عنه موضوع المناقشة من غرابة لم تخطر ببال أحد منّا .. وسمعنا السيد (موا) فى نفس لهجته الثابتة .

« يجب أن يكون حديثنا واضحًا ، وذا موضوع .. أليس الحياء هو الخجل ؟ .. لقد اتفقنا على ذلك أى أن الأمر الطبيعى لا يخجل .. وخلع الثياب أمر طبيعى .. » .

وبدا العلماء وكأنهم ينفخون فى قربة مقطوعة ..

قال أحد العلماء الشبان محتدًّا :

« افهم يا أخ .. ليس شعورك أنت فقط .. يجب مراعاة شعور الآخرين .. لقد خلعت ثيابك ، أمام إحدى السيدات الآن ، وفى هذه اللحظة .. » .

ونظر السيد (موا) إلى ساعته ، ومن ثم إلى الرجل المحتد . كأنه يدرس حالته ، ثم التفت إلى (تودا) يربط العلاقة بين الرجل ووجودها . ثم قال مصححًا الوقت :

« ليس فى هذه اللحظة .. بل منذ ثلاث ساعات وخمس وأربعين دقيقة وعشر ثوان ولحظة واحدة على وجه التقريب بالنسبة للحظة .. » .

فقال أحد العلماء هامسًا فى أذن جاره :

« يبدو عليه أنه لم يغضب أيضًا .. انظر ، إنه لم يظهر الاستياء من احتداد البروفيسير (أدو) .. » .

فقال السيد (موا) بعد لحظة تفكير :

« لو فرضنا أن لدى ما أسميه شعورًا .. فما هى العلاقة بين شعورى وشعور الآخرين ؟ .. » .

«أن لا تضرهم أبدًا وبأى شكل .. وبذا تستطيع التعايش معهم سلميًّا .. ونحـن لا نـقصد الضرر الجسمانـى ، وإنمـا ضرر المشاعر ، عندما تعرضهم للخجل مثلًا .. » .

« أنا لا أقوم بضرر ما ، إذن فأنا أتعايش مع الناس سلميًّا .. » .

وزفر أحد العلماء .. وقال :

« ما معنى أن لديك شعورًا افتراضيًّا ؟ هل تعنى .. لا .. هل تقرر أن ليس لديك شعور مطلقًا ؟.. » .

« هذا نقرره معًا .. فيما لو أصبح تعريف الشعـور واضحًـا لكلينا .. لعلك تريد العلاقة بين شعورى وشعور الآخرين .. هو الحاجة منى إليهم .. أو الحاجة منهم إلى فى تبادل المساعدات .. هل هو مثل الحب عملية تبادل حاجات ؟ إذا كان غير ذلك ففسره لى كى أنبئكم إذا كان لدى منه أم لا » .

وسكت العلماء حائرين .. إنهم أمام إنسان ميكانيكى .. فبدل بنائه بالحديد والمواد المعدنية الأخرى ، بنى بناءً ميكانيكيًّا ولكن من مادة بنى البشر .

وبعد لحظة ، قال بعضهم لبعض ، بماذا نوضح الشعور ؟

فرد السيد (موا) « بل قولوا .. المعرفة بالشىء .. أو نظام الأشياء .. أنا أفهم هذين فقط .. » .

فقال أحد العلماء :

« نعم .. إنه يفهم المعرفة بالأشياء .. ولا يفهم المعانى ، هذا واضح .. ففهمه للمعاني أشبه ما يفهمه المرء من مفردات لغة أجنبية عنه ، يحفظها نصًا ولا يفقهها معنى .. ولكن لو خطر لأحد اختباره فى فهمه لمعانى هذه المفردات ، فطلب منه وضعها فى جمل تناسبها ، لربما يستطيع وضع بعض المفردات فى المكان المناسب من تلك الجمل .. ولكنه يظل غير متأكد ، وغير فاهم معنى الجملة التى كونها .. وإنما قام بتركيب المفرد داخل الجملة طبقًا لما يتذكره من تقليد لبعض صور الجمل التى تحتفظ بها ذاكرته .. » .

« أعتقد أن هذا أقرب مثال يوضح حالته » .

وكثر اللغط .. حتى لم أعد أفهم .. ومكث السيد (موا) صامتًا ، يرقبهم فى تعمق . وبعدها ساد الهدوء . وعادت الأسئلة تنهال على السيد (موا) :

« تقرأ الكثير من الكتب .. هل قرأت كتبًا كثيرة ؟ .. » .

« كل ما فى مكتبة السيد (جعود) .. »

« حفيدك ؟.. » .

« أفهم كلمة حفيدك .. وهى ترمز إلى أن السيد (جعود) ناتج من أحد أجهزة جسمى ، ولكن هذا غير صحيح فيما أرى .. فأنا لم أساهم فى إنتاجه .. » .

« أنت جده .. » .

« حسب معرفتى لما تريدون .. إننى أسبقه فى الكينونة .. ولكننى فى الحقيقة لم أخلق إلا بعده .. » .

« تودا .. » .

« مديرة أعمالى كما تقول هى .. ومربيتى كما تقولون .. وهى تلبى بعض حاجاتى التى توجد بها بعض العوائق للقيام بها .. أنا لم أساهم فى وضع تلك العوائق .. ومع ذلك لا أعرف بماذا تحتاجنى .. » .

« إنها تحبك بصفتك جدها .. » .

« لم أسبقها فى الخلق أستطيع الاستغناء بنفسى .. » .

وكان يقصد بعبارته الأخيرة ، تعريفه لمعنى الحب فى أول الحديث . ولكن هذه العبارة كانت بالنسبة (لتودا) كالقشة التى قصمت ظهر البعير . فقد نسيت فى حمى غضبها زمرة العلماء ، فاندفعت تعنفه ، وتهدد بأنها ستترك أمر العناية به . فقد قالت مهتاجة :

« تستطيع الاستغناء بنفسك .. حسنن .. لتستغن بنفسك .. سوف أتركك لنفسك .. » .

فقال دون أن يتغير شيء فى محياه .

« هو ذاك .. أستطيع الاستغناء بنفسى .. ولكننى فى حاجة لك لبعض الوقت على الأقل ، حتى أستطيع تدبر أمرى .. » .

وكانت (تودا) تقصد معنى ، وهو يقصد آخر ، ونظرت له مبهورة .

« ما معنى أنك تستطيع الاستغناء بنفسك .. وأنت فى حاجة لى ؟.. » .

« معنى .. معنى .. دائمًا تتردد هذه الكلمة على أفواهكم .. إلى ماذا ترمز كلمة معنى .. فهل ترمز إلى التعريف ؟.. »
ثم التفت إلى (تودا) ، يفسر كلامه « حسب ما فهمت ، إن الحب هو عدم الاستغناء عنك أبدًا .. » وكالذى يريد أن يكحل عينًا لشخص ما ، فأعماها . حيث صرخت (تودا) « إذن .. فأنت لا تحبنى .. »

ونهضت من مقعدى ، محاولًا تهدئتها ، كى تتم اللجنة عملها . ولكن يبدو أن العلماء اهتموا بمحاورته مع (تودا) حيث أشار لى أحدهم أن أدعها وشأنها .

عدت إلى مجلسى .

فقال السيد (موا) ، إجابة على تساؤلها « ربما لم أستطع إدراك الرمز إدراكًا واضحًا منظمًا » .

وكان فى استغراق الدارس لحالة الغضب التى اعترتها . وكأن طبيعته لم تستطع أن تستوعبها .. فلم يزد فى الآخر على أن قال ، شارحًا : « أنت مختلفة عنى .. كلكم مختلفون .. ألا تستطيعون إيضاح السبب ؟ .. » .

فردت عليه فى هياج :

نعم .. نحن مختلفون .. إننا بشر سويون .. أما أنت فلست إلا مسخًا لآلة حاضنة .
فقال دون انفعال :

« حسب قراءاتى أن المسخ مشوه التكوين . ولكنى لست كذلك .. » .

ولاحظ العلماء أنه لم يغضب من نعتها إياه بالمسخ ، وكأن الأمر لا يعنيه . أو كأن الأمر لا يعدو صفة مجردة مما تحمل من معنى يمسه . ولذا فهو يحاور محاورة مادية ـ إن جاز هذا التعبير ـ خالية من الشعور ، أو أية سمة إنسانية . كما لاحظوا ، أنه لم يضحك ، أو يبادلهم الابتسام منذ حضورهم .

فسأل أحدهم (تودا) .. التى مازالت واقفة ترتجف من الانفعال ـ لم أرها قط عصبية المزاج كهذه اللحظة :

« ألم تلاحظى يا سيدتى ، أن جدك لم يغضب من نعتك إياه بالمسخ ؟ .. » .

فقالت . وهى ترميه بنظرة شزرًا :

« ألم يقل إنه ليس لديه شعور ؟! كيف يغضب من ليس لديه شعور ؟ كيف يحس بالمهانة ، إنسان مهان خلقيًا ؟ إنه يا سيدى مسخ .. الآن تبينت ذلك .. لم أره قط غاضبًا ، كما لم أره قط ضاحكًا ، أو مبتسمًا ولكنى لم أكن أعرف السبب . كنت أتصور الأمر مجرد رزانة ، وكبر فى العقل وعمق فى التفكير ، لانشغاله فى أمور جادة فى مراعاة الدقة فى النظام .. نعم إنه دقيق منظم كالآلة .. » .

وضحكت بمرارة .

« حتمًا ليس جدى .. فأنا أكاد أتفجر إحساسًا ومشاعر .. » .

التفت السيد (موا) إلى العالم المجاور له . وخاطبه كما يخاطب المرء زميلًا له : « انظر ، إنها تملك طاقة مدمرة للنظام ، طاقة مخربة ، كلكم تملكون مثل هذه الطاقة بصورة ظاهرة ، أو كامنة .. وهذا غير حضارى . لأنه غير نظامى .. يجب القضاء على هذه الطاقة المخربة لنظام الكينونة ، بأداة ما .. لقد قرأت يوم أمس عما تدعونه بالحرب ، التى هى قتل بعضكم البعض ، وتدمير كل شىء حضارى عندكم . فهذا مثال لهذه الطاقة المخربة ، ومدى قوة تخريبها .. لذا يجب الإسراع فى القضاء على هذه الطاقة ، بأداة ما ، قبل أن يتم الخراب النهائى .. » .

« بأداة ما .. ؟ هل لديك فكرة عن كيفية القضاء على هذه الطاقة ؟.. » .

« لا .. لست طبيبًا .. وإنما يجب البحث .. بالجراحة مثلًا .. واستئصال الجزء المخرب فى المخ .. » .

« معك حق .. إنها طاقة مخربة .. هذا الغضب .. ولكن ماذا تسمى الطاقة المعاكسة لهذه الطاقة ؟.. » .

« أتريد معرفة ما تسمونه بالضحك ؟.. إنها طاقة ناتجة عن عدم التوازن فى نظامكم التكوينى ، فيما أرى .. ولكنها طاقة غير مدمرة .. » .

كنت أسمع هذا الحديث ، من جهة ، ومن جهة أخرى أسمع العالم الشاب يخاطب (تودا) الثائرة مبتسمًا :

« هدئى روعك يا سيدتى .. هذا واضح .. إنك دون ريب زاخرة بالمشاعر .. ولكن هذا لا يمنع من أن يكون السيد (موا) جدك ..

ولكن تغييرات هائلة أعادت تركيب خليته .. نحن لاحظنا اختلاف تركيب خليته ، حال يقظته .. ولكن لم نتصور أن الأمر واصل من حيث السلوك إلى هذا الحد .. » .

واندفعت (تودا) تقول بغضب أكثر :

« هناك شيء .. شيء مخجل .. ومع ذلك يجب أن أقوله .. ومع أننى لم أجرؤ على قوله لأى أحد .. حتى أبى أو أمى أو السيد (خالد) .. ولكن يجب أن أقوله الآن .. للحقيقة العلمية ، وكى تفهموه .. » .

وخفق قلبى . لم أكن أعلم مدى معزتى عندها ، إلا عندما قرنت اسمى مع اسمى والديها ..

فأشرأبت الأعناق .. واستطردت ، بافتتاحيتها المعهودة :

« أتصدقون ؟ هل تصدقون ؟.. لقد عرض على الزواج .. لم يستطع أن يفهم وجه القرابة بيننا .. أوّلت الأمرَ ، بأنه لا يزال طفلًا عقليًا .. لم أكن أعلم .. لم أكن أعلم .. » .

أشار أحد العلماء إلى (تودا) بالجلوس . فعادت إلى مقعدها غاضبة ، وحجبت وجهها بيديها الاثنتين وغمغمت .. « إنه يدخل الحمام لقضاء حاجته ، دون أن يغلق بابه عليه .. دون خجل .. » .

اتجهت أنظار مجموعة العلماء ناحية السيد (موا) فى نظرة جديدة مستطلعة .. ورأوه هادئًا ، رزينًا ، جادًّا ، أقرب إلى الصرامة . كل شيء فى مظهره الخارجى يوحى بكماله .

افتتح العالم الشاب المدعو (أدو) باب المناقشة ، بعد الموقف العاصف الذى أثارته (تودا) قال :

« لقد تأكد لدينا الآن أنك غير مدرك . ولست بمستطيع استيعاب الأعراف الاجتماعية ، أو الدينية لأنك عرضت أن تتزوج من الآنسة (تودا) مع أنها حفيدتك . والدين يمنع ذلك .. » .

« عندما رفضت (تودا) عرضى لهذا السبب . درست الديانة التى تتحدثون عنها ، وبرغم أننى لا أرى بها سوى قوانين قاصرة لتنظيم مجتمع فوضوى .. ولكن من المنطلق الذى تفكرون به ، فأنتم وليس أنا .. أرى أن الشقة بينى وبين (تودا) بعيدة جدًّا ، بحيث أكون غريبًا عنها .. ومع ذلك ما أدراكم أننى لن أتزوج من واحدة أكون عم . عم . عم . عمها .. أو خال . خال . خال . خالها ، أو من إحدى حفيداتى الأخريات كما تقولون ؟ ..» .

« ينبغى لك أن تدرك ، أن هذا لا يحدث لنا نحن الناس العاديين ، لأننا نمضى قدمًا ، فى حياتنا فلا يمكن لأحد منا أن يتزوج من امرأة يكون هو عم عمها ، أو يكون خال خالها ، كما تقول ، ولا يمكن أن يحدث هذا دون أن نعرف .. ولكنك أنت بصفتك حالة خاصة ، يمكن أن يحدث لك هذا .. وذلك لا ذنب لنا فيه ، طالما نحن نجهله .. » .

« وهل الذنب كما تسمونه ناتج عن معرفتكم بالخطأ .. أو ليس هو الخطأ ذاته ، حتى دون أن تعلموه ؟ .. » .

« كيف تريد لنا أن نتلافى خطأ لا نعرفه ، ولا نستطيع الاستدلال عليه ؟.. » .

قال مجادلًا :

« أنا لا أطالب بتقويم أخطائكم ، كما تدعونها .. لأننى لا أرى أن هناك خطأ أصلًا .. ففى معرفتى أن كل هذه النظم من وضعكم ،

وفى وسعكم تغييرها متى شئتم .. إنما أردت معرفة مدى قصور معرفتكم بالأخطاء ، فقط لا غير .. لقد استدللت على مدى عدم معرفتكم بالأخطاء .. أو عدم تعريفكم لها التعريف الصحيح ، لأنكم تطلقون رمز الخطأ على عدد من التخاريف ، وربما لم تنتبهوا إلى الخطأ الحقيقى أبدًا .. » .

« وهل أنت دومًا ، مستطيع اكتشاف مواطن الأخطاء ؟.. » .

« أنتم تعلمون أن الشيء لا ينتج إلا مثله .. إذن فكل شىء ناتج عنكم معيبٌ .. لأنكم .. أنتم معجونون . بالخطأ ، إذا كان متعددًا ، أو بالخطأ ذاته إذا كان عنصرًا .. لذا ترون أن عالمكم تعمه الفوضى والاضطراب ، من حروب ودمار ، وكل ما يعوق تقدمه .. وأنا أرى أن عليكم صياغة مادة أجسادكم ، ليصبح جميع عالمكم على مثل شاكلتى ، عندئذ يعم النظام الطبيعى ، بحيث لا يمكن أن يتولد خطأ منه .. » .

ومع أن من المفروض أن لا يشترك فى المناقشة أى من الفنيين ، إلا أن أحدهم فيما يبدو حز فى نفسه ما قاله السيد (موا) ، فصاح من مكانه متحديًا :

« إن هذه الأمور ليست من وضعنا ، إنها من الأمور الدينية » .

نظر أحد العلماء إلى المتكلم ، نظرة استهجان . فسكت الفتى خجلًا .

وقال السيد (موا) ، مجيبًا الفتى . غير شاعر بالفارق بينه وبين من يتحدثون معه :

« من وجهة نظركم فقط .. لا يستند الأمر إلى أى دليل مادى .. » .

ولكن عالمًا آخر حسم المناقشة بينهما ، بقوله متسائلًا :

« ولماذا أردت الزواج من (تودا) طالما أنك لا تشعر نحوها بالحب ؟ .. » .

« أنا لا أعرف شيئًا خرافيًا بهذا الاسم .. اخترت (تودا) لأنها تعلمت كيف تساعدنى ، برغم أنى لا أبادلها هذه المساعدة ، لأنها لم تطلبها منى .. » .

هل تعرف معنى خرافى ..؟ » .

أعرف أنه رمز لشىء غير موجود .. » .

« هل تؤمن بالزواج ؟.. »

« إذا كانت كلمة تؤمن ترمز للموافقة . فأنا أوافق عليه كتنظيم للعلاقات الاجتماعية .. » .

« أنت لا ترى إلا علاقات التنظيم التى تربط الأشياء ببعضها » .

« هذا صحيح .. والسبب واضح ، يجب ألا يكون هناك شىء يقوم عليه هذا العالم غير النظام .. إننى لا أعرف الخرافات التى تحدثتم عنها منذ ساعة ونصف الساعة .. ولست قادرًا على استيعابها حتى بعد أن درستها .. باستطاعتى الآن أن أتلو عليك كل النصوص المكتوبة عن الدين ، والأعراف الاجتماعية ، وكل الخرافات التى تحدثنا عنها .. ولكن ليس من خصائصى القيام بها .. دعونى أوضح لكم بأشياء أشارككم فيها ، لعل ذلك يصل إلى مدى إدراككم .. أنتم طبعًا تعرفون كيف يسير المرء وهو مغمض العينين ، لبعض الوقت ، ولكن هل من خصائصه السير دومًا كذلك ؟ وهو يفعل ذلك غالبًا إذا رام إجراء تجربة ما ، ولكنه قد يتقن ذلك نوعًا ما إذا عجز عن الرؤية مبصرًا . وعندئذ لا يكون فى حالته الطبيعية ، هذا مثال ، ومثال آخر . فى بعض العمليات الجراحية ، قد يتغذى المريض من أية فتحة فى جسمه ، فى عنقه ،

أو خاصرته ، أو تزج إبرة فى ذراعه لتمده بسائل ما . ولكن أيضًا ليس من خصائصه التغذى على هذه الطريقة .. شىء آخر لديكم تدعونه الخرافة ، أو السحر ، أو الشعوذة .. أنتم تعرفون إلى ماذا ترمز هذه الأشياء . ترمز إلى شىءٍ خارج طبيعتكم ، وليس من خصائصكم .. لو اتخذنا هذه الأمثلة كنماذج ، للحب ، أو الغضب ، أو الخجل ، أو الكراهية ، أو ما تدعونه اختصارًا ، شعورًا وأحاسيس .. أى هذه الأشياء التى ترمز إلى لا شىء محدود ، هى ليست من خصائصى ، مثلما تلك الأمثلة السابقة ليست من خصائصكم .. فالكون كما هو واضح لى ، مبنى على النظام .. هذا ما أعرفه ، وهذا ما نشأت عنه .. قد يبدو لكم أنتم مشوشًا ، لست أدرى .. هل أصبحت لكم واضحًا ؟ .. » .

فقال أكبر العلماء سنًا :

« نظام ميكانيكى .. إنك ترى العالم من خلال نفسك .. » .

أجاب دون حنق ، وإنما على نمط المناقشة العلمية :

« وأنت ترى العالم من خلال نفسك غير المنظمة ؟ .. » .

لم يغضب العالم الكبير السن . كان على يقينٍ من أن السيد (موا) لم يقصد إهانته . لذا رد عليه بنفس طريقته ـ أى طريقة السيد (موا) ـ :

« إننا ، نعرف النظام الميكانيكى بالنسبة للآلة ، والنظام غير الميكانيكى بالنسبة للبشر ، أى أننا نعرف النظام بنوعيه .. » .

فقال السيد (موا) :

« هذا النظام البشرى ، كما تقول.. توصلت بشأنه من مناقشتى لكم الآن ، إلى نتيجة هامة فى نظرى . هى ، أنكم تعرفون النظام معْرفة محدودة ، أو مختلطة بأشياء غير نظامية . حيث تكثرون من رموز الكلمات التى لا تخص الأشياء .. وهذا يدل على عدم اكتمال ميكانيكية خلايا المخ لديكم .. وكذلك فقد فهمت الآن أيضًا ، لماذا تتخذون الدين كدعامة لنظمكم الاجتماعية .. لأنكم غير نظاميين . وكى تضمنوا تطبيق النظام على أكمل وجه فى السر والعلن . لأن الشخص منكم يكون رقيبًا على كيانه ، طالما يعلم أنه مراقب وهو فى وحدته » .

فقاطعه أحدهم مناكفًا :

« نستطيع بقوة القانون تطبيق النظام .. » .

« القانون يحمى الأشياء الظاهرة لكم ، ولكن ماذا يستطيع حيال الإنسان ونفسه كما تقولون ، أو حيال الكائن وخلوته كما أقول .. » .

فانبرى أحدهم متحديًا :

« وكيف .. أنت تطبق النظام ؟.. بينك وبين نفسك ، طالما أن لا شىء يشكمك ، من عرف اجتماعى .. أو خجل تلقائى ، أو خوف من دين » ؟

« أنا نظامى بطبيعتى ، لأننى نشأت وفق نظام معين .. » .

« ونحن فى نظرك هل نشأنا من الفوضى ؟ .. » .

« ليس كذلك .. الأنظمة عندكم منوعة ، نظام الجسد ، ونظام

ما تدعونه بالنفس . وهذان غالبًا ما يتعارضان ، مع بعضهما ، فيحتاج حينئذ إلى ضابط ، فابتكرتم هذا الضابط » .

وعاد إلى القول ، الذى طرح السؤال السابق ، مخاطبًا زميلًا له ، وهو يبتسم :

« نحتاج إلى أولئك الماديين ، كى تكتمل الصورة .. فإنهم لن يشرحوا وجهة نظرهم بأفضل مما فعل السيد (موا) فى استطاعتهم أن يجعلوا منه رمزًا لتجسيد أفكارهم .. » وضحك ، وتابع ملتفتًا إلى السيد (موا) : « ولكن الأشياء نسبية .. فهل تعرف ما معنى نسبى ؟... » .

« نعم ، أعرف فلا أفضل من النظم النسبية فى رأيى .. » .

« نسبية ! ! نراك غير نظامى .. فأنت ليس لديك مانع من قضاء حوائجك الخاصة جدًّا أمام الناس ، ولولا التخوّف من انتشار المكروبات ، أو الإخلال بنظام الكائنات كما تقول ، لما اتخذت مكانًا خاصًا لذلك ، بدافع من الخجل ، تخرج عاريًا على مرأى من الغير ، تعرض الزواج على حفيدتك . لا تعرف الحب . ليس لديك ما تؤمن به غير النظام .. » .

أجاب السيد (موا) بموضوعية شديدة :

« دومًا ، تظهرون أمرًا ، وتبطنون غيره . طبائعكم فى حالة انفصال دائم .. ليس هناك علاقات منظمة بينكم . وبين طبائعكم ، وبالتالى ، أو هذا يؤدى إلى نفس النتيجة بينكم وبين غيركم .. فأنتم تتصرفون مثل غيركم تمامًا ، ولكن كل منكم يحرص على ألّا يراه الآخرون .. لماذا ؟ وطالما أنتم لا تفعلون شيئًا مخلًا بالنظام .. إن حرصكم على ستر طبائعكم عن الأنظار ، أمر غريب آخر .. فهل فى انكشاف أحدكم للآخر ما يشكل أية فوضى ، أو تهديد بالخراب

أو الدمار طالما أن كل شيء طبيعى ، إذن كل شيء نظامى .. » .

فقال أحد العلماء بعد مشاورة مع زملائه :

« حسنًا .. لقد فهمنا ، ما تريد منا فهمه .. ولكن قل لنا ، هل نحن نعمل لك شيئًا ضارًا ، بتحقيقنا معك ؟ » .

« كلّا .. إنها عملية تبادل معلومات ، فأنا أيضًا استفدت كثيرًا ، من المعرفة عنكم .. » .

« عملية تبادل معلومات .. إذن فأنت غير غاضب أو ضائق ؟.. » .

وقال آخر :

« عملية تبادل معلومات .. لم يخطر لى أنه يعتبر حديثنا كذلك .. » .

وقال ثالث :

« هذا يفسر أشياء كثيرة .. إذن نحن نحقق معه .. وهو يحقق معنا .. » .

وسأله رابع :

« حسنًا .. إذن نحن لم نسبب لك ضيقًا ؟ .. » .

أجاب .. « عندما ترتفع درجة حاجتى إلى الراحة ، سأخبركم بذلك .. » .

ونظر العلماء بعضهم إلى البعض ، وبعد مداولة قليلة ، قال أحدهم :

« يمكن القول إنه إنسان عاقل ، مدرك غير قاصر .. وهذا ما جئنا من أجله .. » :

ثم التفت إلى السيد (موا) :

« شكرًا مستر (موا) .. تستطيع الذهاب الآن .. » .

« أستطيع الذهاب متى أشاء ، ليس بيننا اتفاق يحدد ذهابى .. أما كلمة شكرًا ، فلن أهتم بها .. ولكننى أود البقاء لأرى تقريركم عنى ، فهذا يساعد على معرفة طرق تفكيركم .. » .

ولتأكد العلماء بأنهم فى مأمن من غضبه مهما نعتوه من نعوت ، فقد وافقوا على إعطائه نسخة من تقريرهم عنه ، نهض السيد (موا) ، وأخذ يتمشى فى الصالة ، مريحًا قدميه وظهره ، غير عابىء بأى شىء آخر .

وبدا على العلماء أنهم نسوا شيئًا مهمًّا .. فقد بادر أحدهم إلى مناداة السيد (موا) ، مرة أخرى ، وقال له : « أيمكن أن نتبادل المعلومات مرة أخرى ؟.. » .

« نعم .. لفترة قصيرة » .

« ماذا ستفعل بثروتك بعد أن تتسلمها ؟ » .

فقال وسط دهشة الجميع :

« الثروة التى تتكلمون عنها ، ليست ثروتى .. أخبرتنى (تودا) أنها تخص جد السيد (جعود) . وليس من النظام فى شىء الاستيلاء على شىء لا يخصنى .. أما فيما لو تنازل السيد (جعود) عنها نى ، فلا مانع لدى من أخذها .. » .

« إذن .. كيف تتعيش لو تجردت منها ؟.. » .

« سأعمل .. سأقوم غدًا بتقديم طلب لهذا الغرض .. بالإضافة إلى أمور تعيشى ، يجب أن أحصل على مال لإعادة تجديد حياتى ، لذا يجب أن أعمل .. هذا إذا أفرج عنى السيد (جعود) ، أما إذا لم يفرج عنى ، فهو فى هذه الحالة مسئول عن إعالتى ، وعن إعادة تجديدى .. » .

وبدت الدهشة على أوجه العلماء .. وقال أحدهم :

« إذا كان يعتبر نفسه محتجزًا .. لِمَ لمْ يقاوم .. حقًّا ليس لديه مشاعر تحثه على الغضب .. ليس هناك ما يضيره من الاحتجاز .. » .

وعاد أحدهم إلى السؤال : « ماذا تعمل .. حينئذ ..؟ » .

« ما يطلب منى » .

« بعض الأعمال تحتاج إلى دراسات ، ومن ثم شهادات تثبت ذلك .. » .

« سأقوم بهذه الدراسات ، إننى سريع الاستيعاب ، فقط ليحدد لى الموضوع المطلوب .. فإذا ما احتجتم أنتم إلى عام كامل لاستيعاب مادة ما ، فباستطاعتى أنا هذا فى مدة أقصاها أسبوع ، بحساب النسبة النظامية التقديرية التى أنتم عليها » .

قال ذلك دون افتخار . وكأنه يقرر حقيقة علمية ليس غير .

« هل حسبت هذه النسبة بصورة دقيقة ؟.. » .

كلا .. ليس لدى أجهزة .. لقد ذكرت أننى حسبتها تقديريًا .. اعتمادًا على ملاحظاتى على طرق تفكيركم » .

وهز العلماء رءوسهم . وأطرق بعضهم فى تفكير .. ولكن العالم الشاب المدعو (أدو) يبدو أنه لم يمل من طرح الأسئلة :

« إن لم تكن جدًا للعائلة .. فعلى أى أساس ، أقمت لديهم وتلقيت عنايتهم ؟.. » .

« لم أضع جسدى هذا الموضع .. وجدتنى هنا .. » .

وهل تقوم بالشكر لهم .. نتيجة لرعايتهم لك ؟.. » .

كلا .. » .

« ولماذا .. لا .. » .

« سبق وقلت رأيى .. إننى لا أعرف ماهية الشكر .. وأنا لا أقدم شيئًا لا أعرفه .. » .

« لن يكلفك هذا شيئًا .. تقول لهم شكرًا .. كلمة فقط .. أو رمز .. » .

« وما تفيدهم هذه الكلمة ، أو الرمز المجرد من الشىء .. » .

وضحك أحد الحاضرين ، وعلق :

« حقًا ماذا تفيدهم الكلمة .. لقد قدم ثروته كلها .. » .

والتفت أحد العلماء ناحية (تودا) ، ليرى تأثير هذه العبارة عليها .. ولكنها أشاحت بوجهها ، ولوت فمها ناحية أخرى اشمئزازًا .

ودون أن يشكروه ، أعلنوا له أن عملية تبادل المعلومات انتهت .. وأنهم سوف يكتبون التقرير حالًا واشتركوا فى إملاء ما يكتبون .. وقام أحدهم بعملية الكتابة .



« التقرير »

إلحاقًا بتقاريرنا السابقة . نقدم هذا التقرير ، زيادة فى الإيضاح لحالة المدعو (موا ديوا صون) للحقيقة العلمية أولا ، وبناء على طلب مديرية رعاية أموال القصر ثانيًا .

إن الخامة التى تكون منها السيد (موا) القديم ، هى نفس الخامة التى تكون منها السيد (موا) الجديد ، ولكن وحدة بناء السيد (موا) الجديد ـ الخلية ـ تختلف فى التكوين عن وحدة بناء الأشخاص العاديين فى النظام . وذلك ناتج عن المدة التى نامت فيها الخلية ، حيث تبين ترجيحًا ، أن الخلية لا تستطيع الاحتفاظ بصفاتها الوراثية . إذا تجاوزت مدة الاحتفاظ بها حية ، تحت عوامل التبريد ، أكثر من خمسين عامًا ، حيث تقوم بعد ذلك بإذابة نفسها ، من جديد .. وبالنسبة للسيد (موا) أذابت نفسها عددًا من المرات ، بمعدل خمسين عامًا لكل مرة واحدة تقريبًا . ووفق نظام دقيق ، يمنع اختلاط الخلايا ببعضها البعض .

ويمكن أن نطلق على هذه العملية عملية التغذى الذاتى .

ومما يثبت أن خلايا السيد (موا) تغذت ، غذاء ذاتيًا ، طيلة المائتى عام الماضية . الذى يثبت ذلك بقاء صلعة السيد (موا) على حالها من جمجمته ، هى ، هى ، فى مساحتها ، لم تنبت بها شعرة واحدة إضافية . وإن كانت فى طراوة وجدة صلعة طفل .. وكذلك بقاء الشعر النابت فى محيط الجمجمة ، بقى على ضآلته ،

ولم يصبح كثيفًا ، رغم طراوته واسوداده ولمعانه . هذا يثبت أن الغذاء غير مستمد من الخارج حتى يكثف الشعر بإضافة خلايا جديدة .

كل هذا يثبت أن العملية هى عبارة عن إعادة بناء وترتيب وتنظيم ليس غير . دون إضافة خلايا جديدة . وكذلك يمكن لفت النظر إلى ثبات طول أظفاره ، قد بقيت على نفس الطول ، عند بدء تجميده طيلة المائتى عام ، ويمكن معرفة ذلك بمقارنة طول أظفاره فى يده الموضوعة على المنضدة فى الصور التى نحتفظ بها له ، والمؤرخة فى لحظة تجميده .

وخلايا السيد (موا) ، وهى فى طريقها إلى البناء والتجديد الذاتى ، الذى جرى لعدد من المرات ـ قرابة الأربع ـ نسخت عددًا من العوامل الوراثية ، مما نتج عنه بعض الصفات الجديدة . وافتقاد صفات أخرى حسب مدة البقاء فى التجمد ، ومن الصفات التى افتقدها :

١ ـ عدم القدرة على الإخصاب ، فهو رجل عقيم .

٢ ـ تغير نوعية غريزته ، بالمحافظة على نوعه . فقد تحولت رغبته فى المحافظة على نوعه بالإنجاب ، إلى نفس العملية التى نشأ منها ، ولذا فهو يرغب فى إعادة تجميده ، بعد استهلاك مدة حياته . وحتمًا إن هذا سيؤدى إلى إعادة تركيب خلاياه مرة أخرى ، بصورة مختلفة . وهذا يؤدى إلى تغيير صفاته مرة أخرى .. ولكن هذا لا يهمه غريزيًا ، لأن تغير الصفات أصبح غريزة لديه .

٣ ـ غريزته الجنسية باهتة ، وغير ملحة .. وربما كانت فى طريقها إلى النسخ ، لو لم يبادر إلى إيقاظه .

٤ ـ فقدان القدرة على الشعور بالمعنويات . فهو لا يحب ولا يكره ، ولا يغضب ، ولا يفرح ، ولا يعرف الخوف أو الخجل ، لذا لا تثيره ، أو تغضبه النعوت الجارحة . لأنه يعرف الأشياء وليس المعانى .. ولذا فإننا نعتقد بأنه سوف يدافع عن نفسه ، لو تعرض للألم الجسمانى فقط . وما عدا ذلك فمن الصعب معرفة ماذا من المعانى يعتبره مهددًا لسلامته .

ونتيجة لفقده هذه المشاعر ، فهو لم يستوعب الأعراف الاجتماعية ، أو الأحكام الدينية ، فقد يخلع ثيابه ، وهو على مرأى من الجميع . وقد يجلس فى المرحاض دون أن يغلق بابه عليه . كما أنه طلب حفيدته للزواج . ولكن ليس ذلك ناتجًا عن طبيعة شريرة فى نفسه . وإنما لاستحالة قدرته على فهم تلك الأعراف .. وهذا أخطر ما فى الموضوع اجتماعيًا .

٥ ـ ليس لديه شعور بالانتماء لأى من الكائنات الحية ، أو غير الحية ، فهو متفرد بذاته ، لذا لم يحس بصلة القرابة التى تربطه بعائلة السيد (جعود) ويبدو أنه ليس فى حاجة إلى مثل هذا الانتماء ، لأنه لا يبدو تعيسًا بوضعه هذا .

٦ ـ له قدرة هائلة على التنظيم والترتيب ، فهو يتمتع بقدرة عجيبة على التنظيم . ومنها تنظيم أفكاره . وبالتالى فإجاباته وأسئلته كانت محدودة وواضحة . وكذا له القدرة على إعطاء الأسباب والنتائج ، لكل ما يعرض له من أمور . ولذا فهو يعتبر كائنًا متوسطًا بين الإنسان والآلة ، حيث فقد بعض صفات

الإنسان ، واكتسب بعض صفات الآلة . ونرى أن هذه الخاصية جاءته من الطريقة التى احتضن بها ، ولوقوعه تحت دائرة النظام الصارم . ولذا فهو يرفض تسلم ثروته ، معتبرًا نفسه غير السيد (موا) القديم . وأخذه ما ليس له يضر بنظام المجتمع .. ومن نفس منطلق نظريته هذه ، فهو يقر الزواج ، ويعتبر كل اتصال جنسى من غير ارتباط الطرفين بعقد مخلًا بالنظام .

وخلاصة التقرير .

١ ـ يعتبر إنسانًا رشيدًا ، مكتملًا ، قادرًا على تصريف شئونه من الناحية العقلية المادية ، والجسمانية الشكلية .

٢ ـ يعتبر مسخًا مشوهًا من الناحية النفسية .

وحمل التقرير توقيعات العلماء الستة . وألحق بتقرير آخر ، كله رموز ومعادلات رياضية وكيميائية ، يبين نظام بناء خلية السيد (موا) الجديدة ، والمختلفة عن نظام الخلايا لدينا .

وأعطيت نسخة من كل من التقريرين إلى السيد (موا) حسب طلبه .

كانت المناقشة ، والفحوصات ، وكتابة التقريرين قد استغرق ست ساعات كاملة . وقبيل أن تستعد الهيئة العلمية للمغادرة ، كانت الساعة تقترب من العاشرة مساء .

فقالت (تودا) تلفت أنظارهم .. وهم يجمعون قصاصات أوراقهم ويرتبونها ، قالت ساخرة :

« اقتربت ساعة راحته .. انظروا ، إنه سيصعد السلم ليضع الكتاب الذى كان يقرأ به اليوم فى رف الكتب فى المكتبة ، حتى لو لم يتم قراءته ، ليعود به فى اليوم التالى .. سوف يبدأ هذا العمل فى الساعة العاشرة إلا خمس دقائق ، ثم يعود إلى غرفته ، ويبدأ فى خلع ثيابه فى دقيقة ، وفى الثلاث دقائق التالية ، يذهب إلى الحمام لتنظيف نفسه ، بعدها يحكم الغطاء على نفسه لمدة نصف دقيقة ، ثم يغمض عينيه ، ويسبل يديه فى النصف الآخر ، ثم ينام فى عمق حتى الساعة الخامسة صباحًا تمامًا .. كل يوم هكذا .. كل يوم هكذا .. » .

وضحكت عن أسنان نضيدة ، وتابعت بازدراء :

« لم أكن أعرف طبيعة هذا النظام الصارم ، إلا الآن .. كنت أقدره تقديرًا هائلًا من أجله . حتى عدم ضحكة أو ابتسامة ، كنت أظنهما غابا عنه لفرط تمسكه الجد الصارم .. لم أكن أعرف أنه مسخ لآلة حاضنة .. على كل حال فهو ليس جدى .. لقد قال ذلك بنفسه .. من المؤكد أنه ليس جدى .. لن يعنينى أمره بعد الآن .. » .

ولوت شفتيها وعادت لتجلس ملتصقة بى .. وكأنى أصبحت فجأة محور اهتمامها .

ولم تعلق الهيئة العلمية ، على حديث (تودا) سوى بالابتسام .. وغادرت بعد أن حيت .

ولدهشتى ، فقد قام السيد (موا) بكل ما أشارت إليه (تودا) من أعمال ، تحت رقابتى .. وعندما عدت إلى الصالة ، حيث تركت (تودا) ، وجدتها لا تزال جالسة فى مقعدها ، مستغرقة فى تفكير عميق ، واضعة أحد خديها على راحة يدها اليمنى ، وشاخصة ببصرها إلى هدف غير محدد . وحالما رأتنى انفجرت

باكية ، ولم تعطنى فرصة لتعزيتها ، حيث جرت راكضة ، تصعد السلم .

جلست وحدى فى الصالة أفكر ، فيما مرّ ، وأنتظر أوبة السيد (جعود) لأقص عليه ما رأيت .. متمثلًا فى خاطرى فرحته بالثروة الموعودة .

وعندما دخل ، يسبقه صوته المجلجل بالغضب ، من أقصى المدخل ، تحركت فى مكانى استعدادًا ، كى أزف إليه البشرى ، ولكنه لم يمهلنى ، إذ حالما رآنى ، لوح فى وجهى بصحيفة كانت بيده ، وهو يقول بغضب مشمئز :

« هل قرأت هذه الصحيفة اليوم ؟ » .

ولم ينتظر حتى يسمع الجواب .. بل استمر يهدر : سوف أقاضيهم .. حتمًا سوف أقاضيهم .. لم يبق إلا أن ينعتوه بالحيوان .. جدى حيوان ؟. جدى يقال عنه هذا ؟. العلماء أنفسهم لم ينكروا شيئًا من هذه التخاريف التى كتبوها .. سوف أقاضيهم .. لا يهمهم سوى الربح .. ليجرحوا كرامة إنسان .. ليمرغوا سمعته فى التراب .. سوف أقاضيهم . تناولت الصحيفة من يده الممدودة .. وأنا أقول . تمهل قليلًا لنرى ما كتب ..

كانت زوجته تشير إلىّ طالبة منى تهدئته ، ثم لم تلبث أن تركته لى ، وانسلت صاعدة ، وكان فى تلك اللحظة يصيح بى منفعلًا : هل أنت مصدقهم ؟..

قلت : لم أقرأ المقال بعد ، كى أصدقهم ، أو أكذبهم .. دعنى أر ..

وفجأة تنكر العلماء عندما رأى الآلات والأجهزة ، التى لم تحمل من مكانها بعد .. فقال باهتمام ، كأنه نسى فى تلك اللحظة أمر الصحيفة ، ومقالها المثير .

« ماذا ؟.. ماذا قرر العلماء ؟ اقرروا رفع الوصاية عنه ؟ » .

« نعم .. لقد قرروا أنه إنسان راشد .. » .

« آه .. حقًا .. إنه إنسان راشد .. آه .. آه » .

فقلت مطمئنًا إياه ، بطريقة غير مباشرة ، وقد استعرت افتتاحية (تودا) أثناء حديثها .

« هل تصدق يا سيد (جعود) ؟ لقد رفض استلام ثروته متنازلًا عنها لك .. » .

ففرك يديه مسرورًا :

« رفض استلام ثروته .. لماذا .. لماذا .. أخشى .. لماذا .. لماذا ..؟ » .

فقلت شارحًا :

« من أجل النظام الاجتماعى .. إنه إنسان نظامى .. لا يأخذ شيئًا ليس له .. لقد قرر أن ينزل إلى العمل ، من نهار غد .. » .

ولم أضف « إن فككت حصاره » كما قال السيد (موا) .. وعقب السيد (جعود) :

« يا له من رجل شريف .. يا له من رجل شريف .. » .

فضحكت ، وقلت :

« ليس الأمر إحساسًا بالشرف .. فلابد أن الشرف شيء لا ماهية له أيضًا .. إن الأمر مختلف جدًا .. لو لم تخرج لفهمت الموضوع على وجهه الصحيح .. » .

« تكلم يا أخ .. تكلم يا بني .. » . استدرك مصححًا .. حيث كان عمري آنذاك الثامنة والعشرين .. » .

قصصت عليه كل ما جرى . ورأى العلماء فيه .

فأصيب بدهشة كبيرة . وقال : تصور يا سيد (خالد) .. لم أكن أعرف هذا من قبل ، وإلا لكنت استدعيت العلماء بنفسي .. هذه ظاهرة علمية ، يجب عدم السكوت عليها طويلًا ، ولكنني لم أكن أعرف .. وكان واقع حاله ينبيء بالندم ، على أيام قلقه على الثروة ، التي أصبح الآن مالكًا لها ، حيث كان يبتسم بين آن وآخر ، كلما تذكرها .

كنت مشوقًا لقراءة المقال ، سبب ثورته ، وهو داخل ، بحيث فكر في مقاضاة كاتبه .. ففكرت أن أحضر له التقرير الموجود في غرفة السيد (موا) ، كي ينشغل بقراءته ، ريثما ، أقرأ أنا المقال :

كان عنوان المقال يدل على طرافته ، حيث كتبت الصحيفة عنوانه بالبنط العريض ـ ترميم منزل السيد (موا) ثم قالت :

نشبّه خلية السيد (موا) بمنزل قديم متداع ، امتدت يد الترميم والتجديد إلى كل ناحية من نواحيه . ولهذا فقد هدمت بعض حواجز

الغرف بغرض ضمها لبعضها البعض ، وأقيمت حواجز ، بين بعض الغرف الأخرى لتصغيرها ، حسب متطلبات الحاجة ، وربما أدخلت بعض الشرفات ، أو الممرات مع بعض الصالات ، أو اقتطع من صالونات واسعة أخرى شرفات ، أو ممرات . وهكذا فعل بالجدران ، فقد أزيل طلاؤها القديم ، وطليت مجددًا . وكذا بالنسبة للبلاط فقد وضع جديد غيره . وأيضًا غيرت تمديدات الكهرباء والماء والتكييف . وكذا أيضًا غير نمط حديقة المنزل . فقد وضع فيها حوض للسباحة ، لم يكن موجودًا من قبل . أو شقت طرق وممرات داخلها ، ووزعت مساحات مختلفة ، فى غير مكانها السابق . فأصبح المنزل جديدًا فى كل شىء ، إلا أساس بنائه .

هذا ما حدث لمنزل السيد (موا) وقد لا يكون عجب فى ذلك ، ولكن العجيب المدهش حقًا ، أن كل هذه التجديدات أو الترميمات ، تمت من مواد المنزل الأصلية ، لم يؤت بمادة إضافية من الخارج . ولكن كيف فصلت هذه المواد عن بعضها البعض ، وأعيد تصنيعها ، وتركيبها مجددًا . هنا يظهر الفن المعجز للصانع . ولكن مع ذلك تكون المعجزة أكبر ، لو أن أحدًا استطاع التوصل إلى منزل (موا) بعد إتمام ترميمه . حيث أقيم حوله حصن حديدى ، عالى الأسوار يحيط به من جميع الجهات ، وليس له أبواب للعبور . أى أن المعجزة تحدث لمن يستطيع اقتحام هذا المنزل القديم الجديد ، للتأكد من أن خواصه الأصلية لم تتغير ، ويستعاض عنها بخواص جديدة ، تختلف عما فى المنازل العادية . ولعل هذا الاختلاف هو سبب هذا الحصار ، وإقامة تلك الأسوار خوفًا من الفضيحة .

هل فهمت سيدتنا القارئ ؟.. سنوضح لك :

إن ذلك المنزل القديم الجديد ، هو خلية السيد (موا) التى جعلت منه (موا) فى العموم ، وليس (موا) فى التفاصيل .

منذ خمسة أعوام قال أحد العلماء من الذين اشتركوا فى عملية إيقاظ السيد (موا) رأيًا مختلفًا عن آراء زملائه ـ ونحن نرجح رأيه ـ قال ، إن السيد (موا) سيفقد ذاكرته السابقة .. ونحن نقول ، إن من المتوقع أن يفقد بعض خواصه الإنسانية أيضًا ، طالما تركيب خليته اختلف ، نحن لا ندعى أننا نسبق العلماء فى هذا التنبؤ . ولكنهم لم يصرحوا به إلا عن طريق المعادلات ، لبيان اختلاف تركيب الخلية . ولكن الحصيف من يفهم ، ماذا وراء هذا الاختلاف ، إن لم يكن اختلافًا مثله . مهما طال الحصار فمصيره إلى الزوال ، وعندئذ يذكر بعضنا البعض .

استطردت الصحيفة :

ويحضرنا بهذا الصدد ـ صدد تغير الخواص ـ قصة الدجاج ، الذى يفقس عن طريق حاضنة ميكانيكية . فهو أى الدجاج ، بهذا يشبه السيد (موا) من ناحيتين : أولا : أن كلًا من السيد (موا) والدجاج نشأ من حاضنة ميكانيكية . ثانيًا : أن كلًا منهما تغيرت بعض صفاته الفيزيائية . فهذا الدجاج عندما يأخذ فى وضع البيض ، لا يقوم بحضن بيضه ، كما يفعل الدجاج ، الذى يفقس بيضه عن طريق حضن الدجاجة الأم .. لماذا .. ؟ لسنا ندرى ـ نحن على الأقل ـ ما هو التغير الذى طرأ ، على هذه الخاصية الفيزيائية ، ونسخها فى ذلك الدجاج نتاج المكائن . ولكن هذا ينبئ ، بأن هذه الخاصية الطبيعية ، قد يكون مآلها الزوال . واستمرارنا على إنتاج دجاج عن طريق الحاضنات الميكانيكية ، حتى تنقرض الدجاجات الأمهات ، أمر مؤكد .. نعم .. ستتغير صفة فيزيائية

فى الدجاج ، عندئذ تشب أجيالنا القادمة ، ليقرأوا التاريخ فى عجب ودهشة عن الدجاجات الأمهات . ولكن سينظرون فى غير عجب ولا دهشة إلى الأشخاص أمثال السيد (موا) .

ويجرنا هذا الحديث إلى مواضيع أخرى ، ليست بعيدة كل البعد عما نحن بصدده . نقول : لو أخذنا ما مضى قياسًا . ألا يحق لنا عندئذ أن نتساءل : هل خاصية التلقيح الطبيعى في رحم المرأة ستكون من الصفات الطبيعية لأطفال الأنابيب ، بعد أن يكبروا ؟.. لِمَ لا ؟ لأنهم لم يتكونوا نتيجة اتصال جنسى مباشر . وإنما جرى التزاوج بين الجينات ، داخل أنابيب معدة لهذا الغرض ، حتى بعد بدء الانقسام الأول ، زرعت تلك المضغة فى رحم الأم . ليس هذا فقط ، قد لا تكون لهم خاصية الاتصال الجنسى أصلا ، لأنهم لم ينشأوا عنه .

هم فى ذلك يشبهون دجاج المكائن ، من حيث فقد صفة فيزيائية . إن الأيام ستثبت ذلك ، أو تنفيه ، أمامنا بضعة عشر عامًا لنعرف كيف يتكاثر أطفال الأنابيب .

وهذا يجرنا إلى ما هو أشد غرابة ، ألا وهو ، التوالد من والد واحد . أو ما يسمى بالكولننيغ . لكن ، قبل التحدث عن نتائجه المحتملة ، لنتعرف عليه أولًا .

الكلوننيغ ، هو تمكين لأى إنسان مفرد ، سواء كان رجلًا ، أو امرأة ، أن ينجب بمفرده . وهو فى هذه الحالة مثل الزهرة الخنثى ، التى تلقح نفسها بنفسها .. ولكن كيف ؟ .. يقال ، تنزع النواة من أية بويضة ، بطريقة يعرفها العلماء ـ معرفة هذا ليست مهمة لدينا ـ ولكن لماذا تنزع النواة من البويضة ، لأنها تحتوى

على نصف العدد من الكروموسومات . أى أنها تحتوى على مكونات نصف إنسان .. يدخل مكان النواة المنزوعة من البويضة الخلية .. وكما هو معروف ، فالخلية تحتوى على العدد الكامل من الكروموسومات .. هذه الخلية قد تكون لذكر ، فيشب الإنسان الناتج ذكرًا ، مثل والده ، صورة طبق الأصل منه ، وإذا كانت الخلية من المرأة ، يشب الإنسان الناتج أنثى ، صورة طبق الأصل من والدته .. لماذا صورة طبق الأصل ؟.. لأن أحدًا غيره .. أو غيرها لم يشارك فى إضافة النصف الآخر من الكروموسومات .. يقال : إنه بهذه الطريقة يمكن للإنسان أن يأتى بتوأمه .. ولو انتج شخص ما توأمًا له أصبح هو وهو اثنين . فهو أى الأصل ، حتمًا لن يشعر بالأسى عندما يقترب منه الموت . وكذلك لن يحزن عليه محبوه عندما يموت ، طالما أن له نسخة تعيش . ويقال إنه يمكنه أن يستعمل النسخة كقطع غيار له . ولكن ، لماذا لا يكون هو نفسه قطعة غيار لهذا الشخص الجديد ؟ لأنه أحدث منه ، والحال واحدة ، فهو ، هو ، بل يمكن أن ينتج ثلاث نسخ أو أربع ، أو عشر ، كى تكون متعته بالحياة أكبر . فهو فى هذه الحالة يستطيع أن يتزوج عددًا من النساء فى آن واحد وفى عدة أمكنة . ويمكنه أن يسافر إلى عدة أمكنة فى نفس الوقت .. بل لماذا لا يكون هو كل الدولة ، أو كل العالم ، فينتج عددًا من النسخ ملايين المرات . عندئذ ماذا ستكون النتيجة ؟

ربما أحد غيره أنتج عددًا مماثلًا ، أو أكثر أو أقل قليلًا . وهنا يبدأ الصراع .. صراع من نوع جديد .. صراع كله أنانية وتفرد بالذات .. ولنفرض أن أحد الطرفين انتصر ، ماذا تكون النتيجة أيضًا ؟

لنأخذ أولا الجانب الإيجابى من الموضوع .

سيعم العالم نوع من التعاون والمحبة ، لن يكون هناك حسد ، أو غيرة ، ممن يغار ومن يحسد ، وممن ينهب ، وممن يسلب ، إذا كان هو ، هو .. فكل الخير ، له كله . فهو موجود في طرف من العالم ، يعاون نفسه الموجودة فى الطرف الآخر . ويسعى لخيره . وكذا العكس .

إذن لن يكون هناك صراع ، سيكون هناك سلام المرء مع نفسه .. ومع ذلك فليس فى هذا فضل يشكر عليه . ولكن ماذا بشأن الجانب السلبى من الموضوع . إذا كان المنتصر من جنس الرجال ، بحيث استطاع أن يمحو كل الرجال الآخرين من الوجود ، فهو كنتيجة طبيعية لمجريات الأمور ، سيقتل كل صبى يولد له من زوجاته العديدات ، وعندئذ سينشأ ما يسمى بوأد الصبيان أما إذا كانت المنتصر من جنس النساء ، فإن البنات اللواتى يولدن سوف يقتلن بيد أمهاتهن . وينشأ عندئذ وأد البنات .

وأما إذا انتصر رجل وامرأة ، ونشأ بينهما ما يدعى بالتحالف ، بحيث أن الرجل ونُسخه ، يتزوج من المرأة ونسخها . عندئذ وكنتيجة طبيعية لمجريات الأمور سيقتل كل صبى وبنت يولد . وينشأ ما يسمى بوأد المواليد .

وعندئذ ستنعدم غريزة الأمومة ، أو غريزة الأبوة . أو كلاهما ، وتظهر غريزة التوأمة . وبذا تختفى صفة طبيعية لتلحق بالصفات الطبيعية التى اختفت سابقًا فى الدجاج . وفى أمثال السيد (موا) .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن من يستطيع إنتاج هذا العدد

من التوائم ، هم العلماء وحدهم فقط . إذن .. فاحتمال انقراضنا وارد نحن الناس العاديين . لذا ينبغي الحرص على دراسة العلم وإلا انقرضنا لنعود من حيث بدأنا ، فنقول إن كل ما ذكرنا من حقائق وافتراضات ، تعزز رأينا في احتمال تغير صفات السيد (موا) . إذن أصبح هذا شيئًا مفروغًا منه .

لكن الشيء الذى نجهله إلى الآن ، هو هل نعيش حتى نرى بدايات هذا التغير .. فنرى فى مستقبل أيامنا أنماطًا مختلفة من المخلوقات . مثل فصائل الحيوانات ، تعود فتنقسم إلى فصائل داخل فصائلها الأصلية ، لتباينها فى الخواص . كالدجاج لا يحضن البيض . ودجاج حاضن ، وبقر وجاموس لا يستمرئ العلاقات الجنسية ، وبقر وجاموس طبيعي . وهل نستطيع أيضًا أن نرى بداية هذا التغير فى بنى البشر . ويصبح لدينا الكثير من أمثال السيد (موا) ، ذى خواص مختلفة عنا ، وإن كنا نجهلها حتى الآن ، بفضل الحصار المضروب حوله ، أو كإنسان الأنابيب ، الذى يحتمل ألا يشعر بالرغبة الجنسية ، أو لا يتكاثر بالاتصال الجنسى المباشر . أو كالإنسان وكلونه (توأمه) .. فنرى من جراء ذلك فصائل للإنسان ، مثله فى ذلك مثل سائر الحيوانات الأخرى ـ وليس أحد أفضل من أحد ـ ولكن لو كنا متفائلين فقد نفكر :

إذ لربما يجر ذلك إلى مسائل تنازع البقاء ، بين فصائل الإنسان . فينتج عن ذلك اتحاد الانسانية الطبيعية ، ضد الإنسانية المعدلة .. ورب ضارة ، نافعة ، كما يقال .

ترك السيد (جعود) قراءة التقرير ، فى الوقت الذى أنهيت فيه قراءة المقال .. كنت مشدوهًا .. طبعًا الصحيفة لم يصلها التقرير الذى كتب مساء اليوم ، حيث لا تزال الساعة الحادية عشرة

إلا الربع . والصحيفة صدرت صباح اليوم . من أين لمحرر هذا المقال هذا الإحساس المرهف فى الحدس . يبدو أنه اعتمد على التقارير السابقة . ولكن تلك التقارير لم تكن واضحة لغير العلماء ، فهى لم تكتب بعبارة سهلة ، مثلها اليوم ، لقد كانت عبارة عن رموز ومعادلات وفرضيات رياضية ، لبيان كيفية بناء الخلية .

هممت أن أعلق على ما جاء بالمقال ، حين بادرنى السيد (جعود) بقوله :

« هذا أغرب شىء ، أمكنه الحدوث .. لم يكن هذا فى تصورى ، طيلة هذه المدة ، فضلًا عن ملاحظته .. » .

قلت :

« بل لعلك لاحظته ، مثلما فعلنا ، ولكنك لم تتمكن من تفسيره ، أو أن تجد له تعليلًا .. لأنه لم يكن فى مجال تصور أىّ منا أن السيد (موا) خال من المشاعر الإنسانية .. ولكن الذى يحيرنى هى تلك الحساسية المفرطة فى الرهافة عند كاتب هذا المقال .. » .

فقال كمن تذكر شيئًا نسيه :

« آه .. صحيح .. وأنا الذى هممت بمقاضاته .. لقد كان على حق .. ولكن كيف تسنى له معرفة هذا ؟ .. لعله محص التقارير السابقة .. يبدو أن أحدًا غيره لم يمحصها .. محتمل أنه ظل كل هذه المدة يدرسها ، كى يخرج بمثل هذا المقال .. إنه لرجل حقًّا جدير بمهنته .. » .

فعاد ، ينق بحزن :

« ليس هذا مهمًا الآن .. ولكن ذلك التقرير .. هذه الحالة التى عليها جدى .. كيف يكون ذلك .. ياللعار .. إننى .. لا أستطيع أن أقول ، إننى غير مصدق رأى العلماء .. هذه الخلية التى يتحدثون عنها .. هذه الخلية .. إننا . أكاد أقضى فزعا .. وأنا الذى جعلته طيلة هذه المدة فى منزلى ، وتحت رعايتى .. إنه ليس إنسانًا .. ياللهول .. هذه الخلية .. ألا تفسر ما قيل ، أكاد لا أستوعب ما كتب لشدة انفعالى .. » .

فقلت معزيًا :

« ماذا يهمنا ، ماذا جرى فى الخلية ، طالما لا نستطيع تغيير شىء .. قد تكون غلطتنا نحن البشر ، لأننا جعلنا تلك الخلية فى مجال الاختبار ، بتجميدنا ذلك الإنسان .. محاولين خرق نواميس الطبيعة ، وسن قوانين تتفق ورغباتنا ـ دون أهلية منا ـ فردت علينا الطبيعة هذا الرد المناسب ، وكأنها تقول لنا : أيها الفضوليون ، اتركوا الأمر لمن يجيده .. وإلا (فمن دس أصبعه فى النار فلن يأمن الحرق) .. وعلى أية حال قد نكون معزين لأنفسنا ـ شأن الخائبين ـ بأن جهلنا بالشىء أكثر مدعاة للراحة .. و .. » .

وفطنت إلى السيد (جعود) لم يكن يسمع حديثى .. لقد كان يفكر .. ثم قال فجأة ياللعار .. أوطلب الزواج من حفيدته ؟ ..

فى هذه اللحظة كانت (تودا) تهبط السلم من الطابق الثانى ، على الجلبة التى أحدثها والدها ، أثناء صراخه فى الحديث .. كانت أجفانها متورمة ، ووجهها شديد الاحمرار .

لاحظ والدها ، ما هى عليه من كآبة . فسكت نهائيًا عن

التعليق . مددت لها يدى بالمقال .. لست أدرى لماذا فعلت ذلك . وقد ندمت ، بعد أن مددت يدى ، ولكن كان لا بد لى من حركة ، أو تعليق ، كى أفك أسار التوتر السائد .

بعد قراءتها للصحيفة بإمعان ، قالت بمرارة :

« رائع هذا الذى حرر هذا المقال .. ما رأيك ، فى أن نكسب من وراء هذا الزنديق ؟.. » .

فهمت أنها تقصد جدها ، فقلت : كيف لقد تنازل عن ثروته ..

كان السيد (جعود) يجمع نفسه أثناء هذا الحديث ، ويهم باللحاق بزوجته ، إلى جناح النوم ، وهو يدمدم ويلعن الآلات التى تسد طريقه إلى السلم ، مما اضطره إلى أن يدور حولها كى يصل إليه .

قالت (تودا) مجيبة على تساؤلى :

« لا أقصد هذا .. سوف أعطى صورة من هذا التقرير ، إلى هذه الصحيفة ، صاحبة المنزل المرمم . إنها وحدها تستحق هذا السبق .. » .

ضحكت أنا ، من استبدالها اسم الصحيفة بعنوان أحد مقالاتها .. واستطردت هى .

ألا تعمل الشىء نفسه ؟.. مع إحدى صحفكم ؟ ألا ترى هذا مسليًا ؟.. ألديك صحيفة مفضلة ؟.. » .

قلت طربًا ، لتسليتها :

نعم .. نعم .. يجب أن يتم هذا قبل يقظته فى الصباح ، كى لا يفتقد التقرير .. » .

« الآن .. الآن .. » .

وخرجنا . بعد أن تناولت التقرير من فوق أحد الآلات ، حيث تركه السيد (جعود) وهو فى طريقه إلى السلم .

أعطت هى صورة من التقرير لصحيفة منزل السيد (موا) المرمم ، كما دعتها . وأعطيت أنا صورة من التقرير بالراديو لإحدى صحفنا . ادعيت أمامها بأنى أفضلها .. وفى الحقيقة فأنا لا أفضل إحداها على الأخرى ، لسبب بسيط ، هو أن ما تقرؤه فى إحداها تجده فى الأخرى ، فليس لدينا ما يسمى بالسبق الصحفى .

عدنا نضحك من هذه المغامرة الصغيرة .

فوجدنا أن السيد (جعود) وقرينته ، قد أطفآ جميع الأضواء وناما .

أما صحيفة منزل السيد (موا) المرمم ، كما دعتها (تودا) فقد صدرت فى صبيحة اليوم التالى ، وعلى صفحاتها الأولى تقرير العلماء ، مسجلة به سبقًا صحفيًا ، وفى القرب منه إعادة لمقال يوم أمس ، الذى يحمل عنوان منزل السيد (موا) المرمم ، مذكرة قراءها به ، ولافتة أنظارهم ، بأنها أول من تنبأ بحالة السيد (موا) . ولست أدرى إذا حصلت على شهرة واسعة ، نتيجة لذلك ، فأنا غير ملم تمامًا بما يجرى عندهم .

لم تدم فرحة السيد (جعود) بحيازة الثروة ، سوى أسبوع واحد

فقط ، حيث جاء فى قرار مديرية رعاية أموال القصر ، حول تسلم السيد (موا) نفسه ، كشخص راشد . جاء فى ذلك القرار ، إن رفض السيد (موا) تسلم أمواله . أمر مرفوض قانونًا ، وإنه أى السيد (موا) يستطيع استلام ثروته ، وله بعد ذلك مطلق الحرية ، فى أن يتنازل عنها لمن يشاء .

قال السيد (موا) بعد هذه الأحداث . فى عملية تبادل المعلومات ، كما طلبت منه . وكان قد قرأ تقرير العلماء . قال حول رأيه فى ذلك التقرير .. إنه يرفض ادعاء العلماء ، حول وحدة الخلية الخام مع المدعو (موا) القديم .. وقال : لا شىء يثبت ادعاءهم هذا .. (فموا) القديم ، مضى قبل مائتى عام ، مما يتعذر عليهم معرفة نوع خليته .. وقال أيضًا ، لا يستبعد الخطأ من أناس غير نظاميين .

وتسلم السيد (موا) الثروة ، عندما لم ير بدًّا من ذلك . ولكنه كان عمليًّا ، فلم يتبرع بها ، أو يتنازل عنها .. بل بعث بطلب إلى الشركة التى أشرفت على رقاده القديم ، بطلب إعادة تجميده . برغم كونه شابًّا لم يستهلك طاقته بعد .. وجاء فى حيثيات طلبه ذلك . إنه فى مجتمع بشرى ، غير نظامى ، مختل التوازن . وليس من النظام فى شىء أن يعايش أناسًا مختلفين عنه نوعًا . وأنه لن يكون هناك تعاون مثمر فى سبيل الرقى الحضارى ، فى مثل هذه الفوضى ، التى تسود المجتمعات البشرية الآن . وإن من الأنسب أن يعيش فى عصر يكون له من أمثاله كثيرون . حيث يكون النظام مستتبًّا عندئذ .

وكان مندوب الشركة ، صاحبة العلاقة . قبل أن يصل طلبه هذا كان فى الطريق إليه .

كانت الشركة هذه قد اطلعت على تقارير العلماء فى الصحف ، وعرفت باستعداده لإعادة تجميد نفسه ، وبعد أن علمت أيضًا برفض مديرية رعاية أموال القصر ، رفض السيد (موا) لأمواله . جاء مندوبها ، مدفوعًا بطمع الشركة ، لمقابلة السيد (موا) واضعًا خدمات الشركة ، تحت طلبه حين يريد .

وتلاقت الرغبتان . فوقع السيد (موا) العقد مع الشركة مجددًا .. فأعيد تجميده من جديد لمدة ثلاثمائة عام أخرى .. وبهذا استولت الشركة على عائد الأموال الضخمة مرة أخرى .. ولكن لا أحد يستطيع التكهن ، أى مخلوق جديد سيتكون . والغريب فى الأمر ، أنه بدلًا من أن يكون حادث السيد (موا) مثلًا وعبرة . إلا أن الأكثرية لم تر فى الموضوع إلا أن السيد (موا) عاد إليه شبابه .. لذا فإن الشركة ازدهرت أعمالها ، فجمدت أربعة أشخاص آخرين ، غير السيد (موا) من الأثرياء المسنين . ولا زالت الطلبات مستمرة .. وبناء الثروة أصبح مهمًا ، لأولئك الذين يرومون تجميد أنفسهم فى المستقبل . فأصبح الجشع أكثر شراسة ، عما كان عليه من قبل .

وأتعس الأمر الجديد السيد (جعود) تعاسة كبيرة .. فأخذ ينعى الثروة الضخمة ، التى ذابت من بين يديه ، ذوبان الجليد ، فى شمس صيف الكويت . بعد أن كانت قاب قوسين ، أو أدنى منه . أخذ ينعى الثروة دون أن يشير إليها ، وإنما اتخذ جده الجديد رمزًا لها . فأخذ ينعيه ، متناسيًا رأيه فيه ، وشعوره بالعار للحال التى هو عليها . فكبّر صورة أخرى جديدة ، ووضعها بجانب الصورة القديمة ، وكتب خلاصة نسبه ، ووضعه فى إطار بين الصورتين .

مهتمًا أشد الاهتمام بتاريخ الصورتين قائلًا : « للحقيقة العلمية ، وللتاريخ ، يجب الدقة فى مثل هذه الأمور .. » .

كنت أرقبه وهو يدق الصورة الجديدة على الحائط ، دون انتباه . فقال : « فيم تفكر يا سيد (خالد) ؟.. » .

رفعت صوتى ، مسترسلًا بأفكارى ، كى يسمعها :

« لو انتصرتم ، أنتم ، أو معسكركم المعادى .. أو تحالفتم معه . ففى كل الأحوال نحن المؤدون .. » فضحك ، وقد فهم مغزى كلامى .

« ألا زلت تفكر فى صحيفة منزل السيد (موا) المرمم ؟ .. » .

أجبته :

« نعم .. إنها لا زالت تثير فى فكرى خواطر كثيرة .. » .

وعدت إلى وطنى هذه المرة متأبطًا ذراع (تودا) . لقد أصبحت زوجتى .. نعم لقد تزوجت الشابة الحسناء ذات الاثنين والعشرين ربيعًا ، مترحمًا بصورة حماسية على روح جدها العظيم (موا) .

لقد كان له الفضل فى توطيد أواصر الصداقة ، ثم المحبة بيننا ، أنا وهى .. فعن طريق اهتمامنا المشترك بالجد (موا) ، اكتشف كل منا الآخر ، أثناء أحاديثنا عنه الساعات الطوال .

وهكذا كنت الرابح الوحيد من هذه الأحداث ، عدا الشركة المعنية بعملية التجميد طبعًا .

ونحن فى طريقنا إلى الكويت ، على متن طائرة ، من صنع أم

العجائب بلادها . وملك أم الثروة بـلادى . سألت عروستـى الجميلة :

« ألا تود أن تكون لديك مـثل ثـروة جـدى ، تمـكنك مـن تجميد نفسك فى المستقبل ؟.. » ، وكان حديثنا عن الجد (موا) لم ينقطع بعد ، وقد تصاعدت حدته بعد تجميد نفسه مرة أخرى . فقلت ضاحكًا : « كلّا .. ولو كان لدىّ مال قارون ، كما يقال .. » .

« ولماذا .. لا ؟ .. »

قلت وأنا أعلم أنها تعرف الجواب :

« فهل تريديننى ، إنسانًا بلا ماض ، ودون مستقبل .. رجلًا فاقدً هويته دومًا .. نعم دون ماض ، لأنه عند كل إيقاظة جديدة ، يقطع أواصر ماضيه عن حاضره لاختلاف نوعه .. إنه متغير فى كل يقظة جديدة .. إنها ليست بشريتنا نحن ، ولا تمت لنا بصلة .. إنها بشرية معدلة .. إلى الأسوأ ، أو الأحسن .. ليس هذا مهمًا .. المهم أنها ليست بشريتنا ، وهذه جريمة فى حقنا » .

أحسب أننى آلمتها بحديثى عن جدها ، حيث طوقتنى ، وهى تقول ، وكأنها تبحث عن عذر لجدها ، وعزاء لها :

« ألا يمثل الجد (موا) فى نظرك ، مادية عصرنا ؟.. فالكثير منا على غراره . وقد تجرد من المشاعر الإنسانيـة . دون أن يتعرض لعملية التجميد هذه . فأصبح لا يملك من الإنسانية سوى الاسم .. » .

فضحكت من تشبيهها ، وقلت متسائلًا :

« ماذا تقصدين بمادية عصرنا ؟ .. هل هو فى نظرك يرمز إلى

أولئك ، الذين يكفرون بكل الأديان ، ويستبيحون المحرمات ، ويتجردون من إنسانيتهم ، فيحرمون العطف والشفقة ، ليقدسوا النظام والعمل فقط ؟ أم تراك تقصدين أولئك الذين لا همّ لهم إلا جمع المادة ، متنكرين دومًا لإنسانيتهم ، بتحويل ذاتهم إلى آلة لصك النقود ، فأصبحوا ولا هم لهم إلا جمع المادة المتمثلة فى الثراء العريض حتى على أشلاء الناس الآخرين . ولو كان ذلك بمحاربتهم وتضييق سبل العيش عليهم ؟.. لأيهما ترينه يرمز ؟.. على أية حال ، لا يهمنى الجواب .. فهذا واضح من بعض جوانبه . أما ، ما عندى ، فشىء مختلف .. فهو فى نظرى يرمز إلى أشياء كثيرة ، شتى . قد تكون هذه المعانى متفقة ، أو متعارضة لنفس الصفة ، أو الكلمة ، وعليك أنت أن تحرزى ما أفكر فيه . وكما يقول المثل عندنا ـ المعنى بقلب الشاعر ـ ثم شددت بذراعي على خصرها . وانقلبت فى حديثى ، مدافعًا عن جدها ، كى أطلب لها العزاء الذى تنشده ، فقلت : « ولكن لا تنسى ، أن الجد (موا) لم يتعذر عليه أن يجد فينا من العيوب الشىء الكثير . فإذا كان السيد (موا) فى نظرك الآن يرمز إلى الإنسانية التى بدأت تطغى عليها صور المادية الشوهاء .. فإنه لم يعدم الوسيلة إلى كيل الانتقادات فى حقنا ، نحن المهتزين شعوريًا ، دون أساس ، أو استناد من المنطق .. وقد يكون محقًا نوعًا ما .. » .

فشدت على عنقى ، وهى تقول :

« دعنا منه .. إن أفضل شىء عَمله ، أن قربنا من بعضنا .. » .

إسلاميات

سلسلة كتب إسلامية دورية
تعرف المسلم بكل أمور دينه .

صـدر :

رقم الايداع : ٢٢٦٣

الترقيم الدولى : ٨ / ٠٥٩ / ٢٦٦ / ٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ تليفون : ٨٢٦٢٨٠

أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة



المؤلفة

طيبة أحمد الابراهيم

الإنسان الباهت

قصة « الإنسان الباهت » قصة من الخيال العلمي تكتبها أول امرأة فى العالم تخوض مجال قصص الخيال العلمي ، وهذه القصة تحتوى على تنبؤات عن أطفال الأنابيب لا يمكن تقدير صحتها إلا بعد مضي عشرة أعوام على الأقل ، فلنتذكر هذه التنبؤات حين ذلك ، والقصة أيضا تقدم احتمالًا مبتكرًا حول انفكاك مكونات الخلية وإعادة تركيبها بشكل مغاير يغني عن الإمداد الخارجى للطاقة بالنسبة للجسم الحي .

ما هى التوقعات المحتمل حدوثها بعد ذلك ؟ كل هذا نتركه للقارئ ليلحق فى خياله فى مجال يختلط فيه الواقع مع خيال رحب واسع قد يكون في يوم ما واقعًا يبحث عن مجال أوسع منه ، ولنتذكر ونحن نتصور هذا أن كل ما وصل إليه الإنسان من حضارة ليس إلا محصلة نتاج ذوي بصيرة خلاقة رأوا بعين الخيال ما لم يستطع الآخرون رؤيته .



الثمن فى مصر

١٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٥٥‏٨٤‏